الكتابة العربية المعاصرة في السيرة النبوية، قضايا وملاحظات

أحمد بن محمد فكير

كلية الآداب- أكادير

خطة البحث :

*/مقدمة:

*/قضايا في الكتابة العربية المعاصرة في السيرة النبوية :

المبحث الأول: التشكيك في كتب الحديث والسيرة النبوية:

المبحث الثاني: إنكار الأحاديث الصحيحة:

المطلب الأول : حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني : حديث خوخة أبي بكر رضي الله عنه.

المطلب الثالث : حديث أن النبي كان لا يشبع من الطعام.

المطلب الرابع : حديث أن النبي مات ودرعه مرهونة عند يهودي.

المطلب الخامس :حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون.

المبحث الثالث: إنكار المعجزات والتشكيك فيها والتعسف في تأويلها:

المطلب الأول : معجزات قبل النبوة :

معجزة الطير الأبابيل.

معجزة شق الصدر.

معجزة تسليم الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثاني : معجزات بعد النبوة :

معجزة الإسراء والمعراج .

معجزة انشقاق القمر.

معجزات الهجرة .

*/خاتمة:

مقدمـــــــة:

ظلت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم النموذج المثالي للحياة الإنسانية الحقة بكل أبعادها،والمعين العذب الذي لا ينضب على مر العصور والأجيال، ونالت من عناية العلماء قديما وحديثا مسلمين وغير مسلمين ما لم تنله سيرة نبي ولا زعيم،وتفنن المسلمون في كتابتها والتصنيف في جزئياتها أيما تفنن،كيف لا وهي سيرة أعظم رسول وأكرم الخلق على الله تعالى.

وهؤلاء الذين كتبوا في السيرة النبوية لم تكن طريقتهم واحدة ، بل تفرقوا طرائق قددا.والملاحظ أن السيرة النبوية في عصرنا لم تكتب فيها الأقلام الإسلامية فحسب، بل كتب فيها غير المسلمين أيضا، وفي هؤلاء وأولئك المنصف في البحث المخلص في طلب الحقيقة وفيهم الحاقد على الإسلام المنحرف عن سواء السبـــيل .وهذا الاختلاف مرده إلى ما يدين به كل كاتب من عقيدة وما يعتقده من آراء وأفكار.ومن ثم تتعدد النتائج التي يتوصل إليها الكاتبون في السيرة تبعا للمنهج المتبع في دراستها.

وإذا كان عموم الأقدمين يكتفون بسرد أحداث السيرة النبوية ولا يهتمون بالتحليل والاستنباط إلا قليلا منهم، فعلى العكس من ذلك كثير من الكتاب المعاصرين الذين قطعوا أشواطا بعيدة في تحليل أحداث السيرة النبوية واستنباط الدروس والعبر منها، ومناقشة الكثير من قضاياها.

والكتابة المعاصرة في السيرة النبوية قد توزعتها اتجاهات شتى ومناهج مختلفة تبعا لانتماء صاحبها الديني والفكري.ففيها الأصيل الذي حاول مراعاة الأمانة العلمية في الكتابة،وتوثيق الخبر وعدم التعسف في التأويل، والاستفادة من السيرة النبوية للنهوض بالمسلمين.وفيها الدخيل الذي حاول جاهدا تسخير السيرة النبوية لخدمة أهوائه وخلفياته على اختلافها، مادية وعلمانية وتلفيقية وشيعية.. وغيرها. وحسب علمي فالذين اهتموا بهذا الموضوع[1] أفراد قلائل ، وكان المفروض أن ينال هذا الموضوع كبير اهتمام الباحثين المسلمين ، أولا لأهمية السيرة النبوية

---

[1]- ممن أشار إلى ذلك إشارة مختصرة الدكتور محمد ياسين مظهر صديقي في كتابه (الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي) تحت عنوان (الإتجاهات الجديدة في كتابة السيرة والتاريخ).والدكتور عبد المهدي عبد القـــادر عبد الهادي في كتابه (السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ص ٤٩-٥٦). كما عرض الدكتور محمد ســـعيد رمضان البوطي في مقدمة كتابه (فقه السيرة ص ٩-١٤)وفي كبـــرى اليقينيـــات الكونيـــة (ص ٢٢١-٢٢٨) للحديث عن نشأة المدرسة الجديدة في كتابة السيرة النبوية. وتحدث الدكتور فاروق حمادة عـــن بعـــض الكتـــب المعاصرة في السيرة النبوية(مصادر السيرة النبوية وتقويمها ص ١١٠-١٢٣)، وكتب الـــدكتور عبـــد الـــرزاق هرماس بحثا بعنوان (الاتجاهات المعاصرة في كتابة السيرة النبوية) بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية السنة ١٨/العدد ٥٥/١٤٢٤-٢٠٠٣.

في البنيان الإسلامي ، وثانيا لاكتساح المناهج الحديثة شرقية وغربية ساحة السيرة النبوية بتحليلاتها المغرضة والتي تشكل خطورة كبيرة على فكر الأمة وثـقافتها.

وأوفى كتاب تطرق لهذا الموضوع حسب علمي هو (دراسات في السيرة النبوية) لمؤلفه سرور بن نايف زين العابدين، والذي ركز فيه على كتابات أصحاب المناهج المنحرفة في كتابة السيرة النبوية ،وقسمها إلى ثلاثة أقسام:

١- المستشرقون، عرض في هذا القسم كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية لـكارل بروكلمان، وكتاب الدعوة إلى الإسلام لأرنولد.

٢- دعاة التغريب، وعرض فيه لكتاب دروس قرآنية ليوسف إلياس حداد، وكتاب محمد الرسالة والرسول لنظمي لوقا ،ولما كتبه جورجي زيدان في تاريخ التمدن الإسلامي وأيضا لما كتبه طه حسين في كتبه: (على هامش السيرة) و(الشيخان) و(الفتـنة الكبرى).

٣-المدرسة الإصلاحية،تحدث في هذا القسم عن موقف الإصلاحيين محمد عبده والخضري وهيكل .. من المعجزات ، ومواقفهم من قضايا أخرى كحديث الآحاد والسحر ونزول القرآن[١].

وكثيرة هي القضايا التي عرضت لها الكتابات المعاصرة في السيرة النبوية،وليس من شأن هذا البحث تتبعها و لااستقصاؤها،فذلك أمر يطول. وإنما مثلت هاهنا بما أراه قضايا رئيسة في هذه الكتابات، والقاسم المشترك بين كثير منها، وحصرتها في ثلاث :

أولا: التشكيك في كتب الحديث والسيرة النبوية:

ثانيا: إنكار الأحاديث الصحيحة:

ثالثا: إنكار المعجزات والتشكيك فيها والتعسف في تأويلها:

---

[١]- ملاحظتي على الكتاب أنه استطرد إلى قضايا ليست من صميم السيرة النبوية بل هي داخلة فـي موضـوع التاريخ الإسلامي ، وذلك حين عرضه لكتاب تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان وكتابي الشـيخان والفتنـة الكبرى لطه حسين.كما أن حديثه عن هذه الكتابات جاء موجزا جدا ، وكان المقام يقتضي أن يتوسـع بعـض الشيء بإيراد الأدلة العلمية لدحض الشبهات والأباطيل ، وهو ما أخفق فيه الكاتب فكانت ردوده في كثيـر مـن الأحيان لا تكاد تروي غلة أو تشفي علة.وأحيانا أخرى يكتفي بعرض الأقوال دون تعقيب !والملاحظة الثالثة هي تركيزه على المناهج المنحرفة في كتابة السيرة وعدم عرضه للمناهج الأصيلة .

أولا/التشكيك في كتب الحديث والسيرة النبوية :

وهذا التشكيك تارة يتذرع بكون مرويات هذه الكتب تخالف القرآن الكريم، وتارة باختلافها حول الحدث الواحد، وتارة بزعم تأخر تدوين هذه الكتب ،وتارة أخرى با تهام مصنفيها بالكذب والتدليس والعمالة للأمويين !

ولعل من أوائل المحْدثين الذين شككوا في كتب السيرة النبوية محمد عزة دروزة في كتابه (سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم صور مقتبسة من القرآن الكريم)[1].والذي حذا به إلى تأليفه هو الاختلاف الحاصل في مصادر السيرة النبوية بحيث لم تعد تبعث في النفس الطمأنينة والثقة بها ، فضلا عن اليقين ، ومثل لذلك بسيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد ! وبناء عليه يشكك دروزة في كثير من مرويات السيرة النبوية ، بحجة أن هذه المرويات تختلف حول الحدث الواحد ، إضافة إلى كونها تناقض النصوص القرآنية[2].

ونحن نتـــفق مع الكاتب في اعتبار القرآن الكريم المصدر الأوثق للسيرة النبوية ، بحيث يرد كل ما يعارضه مما ورد في مصادر السيرة الأخرى، لكن لا نتـــفق معه في منهج التشكيك هذا الذي اعتمده بإطلاق ، وحاول به نسف مرويات السيرة، لأن ما تذرع به لا يكفي للطعن فيها، إذ إن اختلافها حول الحدث الواحد، والتناقض فيما بينها لا يعني ردها كلها، بل فيها الصحيح والضعيف والراجح والمرجوح، فنقبل الأول ونرد الثاني وفق قواعد المحدثين.هذا إذا تعذر الجمع فيما بينها، بوجه من الوجوه،أما إذا أمكن ذلك فالجمع مقدم على الترجيح كما هو معلوم عند أهل الشأن.

هذا فضلا عن أن القرآن الكريم لم يعرض لكل أحداث السيرة، بل عرض لبعضها فقط،أما تفاصيل الأحداث فمظنتها كتب الحديث والسيرة النبوية.ولو سلمنا بدعوى دروزة، لافتقدنا كثيرا من أحداث السيرة،وكثيرا من تفاصيلها.

وبناء على هذا المنهج فالأستاذ دروزة لا يسلم بوقوع أذى بدني على النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، بحجة اختلاف نصوص الروايات مع وحدة الشخص المعزو إليه ارتكاب الإثم في بعضها، وعدم ذكر القرآن شيئا ما يدل على وقوع الأذى فعلا، واستثنى المؤلف من ذلك رواية ما كان من رجمه وجرحه صلى الله عليه وسلم من قبل بعض الرعاع في الطائف، وعلل ذلك

---

[1]- صدرت طبعته الأولى عام ١٩٤٨ عن مطبعة الاستقامة القاهرة.ويقع في مجلدين.

[2]- انظر ١/٧-٨.

بأن الظروف التي وقعت فيها الرحلة إلى الطائف، وما وقع له فيها مما يدخل في دائرة الاحتمال كثيرا !١.

وما الذي يمنع أن تدخل روايات إذاية النبي صلى الله عليه وسلم الأخرى أيضا في دائرة الاحتمال، وقد وردت بأسانيد صحيحة وتواترت رواياتها في كتب السيرة ؟ أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (بينا النبي صلى الله عليه وسلم ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم عليك الملأ من قريش أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف أو أبي بن خلف شعبة الشاك فرأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في بئر غير أمية بن خلف أو أبي تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر)٢ . وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة قال: (قال أبو جهل :هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟قال: فقيل :نعم. فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته قال :فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه قال فقيل له مالك فقال إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا قال فأنزل الله عز وجل لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه : (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذب وتولى- يعني أبا جهل- ألم يعلم بأن الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه- زاد عبيد الله في حديثه قال: وأمره بما أمره به. وزاد ابن عبد الأعلى : فليدع ناديه ، يعنى قومه)٣.

وقد ختم المشركون أذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم بمحاولة قتله أواخر المرحلة المكية مما كان سببا في الهجرة نحو المدينة المنورة.وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما لاقاه من أذى قريش قبل أن يمس الأذى أحدا من أتباعه، يقول فيما رواه عنه أنس بن مالك: (لقد أخفت في الله عز وجل وما يخاف أحد ولقد أوذيت في الله وما يؤذي أحد ولقد أتت على ثلاثون من بين

١- انظر ١/٢٦٥-٢٦٧.

٢- كتاب مناقب الأنصار باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة رقم ٣٨٥٤، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين ٣/١٤١٩.

٣- كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب قوله : (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) رقم ٢٧٩٧.

يوم وليلة ومالي ولا لبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال)١.فما الذي يمنع كون النبي صلى الله عليه وسلم قد أوذي في الله وقد أوذي من قبله الأنبياء والرسل، بل منهم من قتل؟والأستاذ دروزة يعلم أن قريشا قد تجرأت على قتل النبي صلى الله عليه وسلم،أفلا تجرؤ على ما هو أهون من القتل وهو الأذى البدني؟وهل لنا أن نلزم القرآن بذكر ما لقيه النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك حتى نسلم به؟وهل اختلاف الروايات مبرر للطعن فيها وردها من أصلها؟أم المطلوب هو الجمع بينها إن أمكن ذلك، أو الترجيح؟.

وممن اعتمد منهج التشكيك أيضا ، محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد صلى الله عليه وسلم)الذي دندن كثيرا حول ما سماه بالطريقة العلمية الحديثة في كتابة السيرة النبوية، وكان من جملة ما دفعه إلى هذه الطريقة زعمه تأخر تدوين كتب الحديث والسيرة النبوية إلى ما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بمائة عام أو أكثر، وذلك في ظروف المنازعات السياسية والتي كان اختلاق الروايات والأحاديث بعض وسائلها إلى الذيوع والغلب٢.

ثم بعد ذلك بصفحات يزعم تأخر كتابة الحديث والسيرة النبوية إلى عهد المأمون وقد مضى قرابة قرنين على وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعد شيوع الأحاديث الموضوعة بكثرة راعت المسلمين، إذ ذاك –يقول هيكل–قام الجامعون بجمع الأحاديث، وتولى كتاب السيرة كتابتها، فقد عاش الواقدي وابن هشام والمدائني وكتبوا كتبهم أيام المأمون، وما كان لهم ولا لغيرهم أن ينازعوا الخليفة في آرائه مخافة ما يحل به، ولذلك لم يطبقوا ، بما يجب من الدقة هذا المقياس الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوب عرض ما يروى عنه على القرآن، فما وافق القرآن فمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما خالف القرآن فليس منه٣.

بل هو يرى أن أكثر كتب السيرة أضاف إلى حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يصدقه العقل، ولا حاجة له في ثبوت الرسالة٤، ويرى أنه قد دس فيها خرافات لا يسيغها العقل، ولا يقبلها الذوق٥.

ثم إن مقاييس المحدثين غير كافية في نظر هيكل لقبول الحديث، و عنده أن (خير مقياس يقاس به الحديث وتقاس به سائر الأنباء التي ذكرت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما روي عنه عليه

---

[١]– مسند أحمد ٣/ ٢٨٦.

[٢]– حياة محمد ص ٤٩.

[٣]– حياة محمد ص ٥٢.

[٤]– حياة محمد ص ١٤.

[٥]– حياة محمد ص١٧.

السلام أنه قال : (إنكم ستختلفون من بعدي ، فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فمني،وما خالفه فليس مني).وهذا مقياس دقيق أخذ به أئمة المسلمين منذ العصور الأولى، وما زال المفكرون يأخذون به إلى يومنا الحاضر[1] .ثم هو مقياس (يتفق مع قواعد النقد العلمي الحديث أدق اتفاق)[2].

ودعوى هيكل تأخر تدوين كتابة الحديث إلى ما بعد ما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بمائة عام أو أكثر مردود عليه ، ولا أساس له من الصحة ،فثمة نصوص كثيرة تثبت كتابة الحديث على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، كتلك التي أخرجها البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب كتابة العلم.إضافة إلى كتابته صلى الله عليه وسلم لصحيفة المدينة في السنة الأولى من الهجرة، وكتبه ومعاهداته المدونة صلى الله عليه وسلم ،والتي كانت بينه وبين كثير من بطون العرب وطوائف اليهود والنصارى، فضلا عن كتبه صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام،وإلى عماله وقادة جيشه فيما يتعلق بأحكام الدين وشؤون الدولة[3].وقد أربت هذه الكتب على ثمانين ومائتي كتاب، كما ذكر الدكتور محمد حميد الله في كتابه (الوثائق السياسية).

وخطأ هيكل جاء من كونه لم يفرق بين الكتابة والجمع والتدوين ، فقد كتب الحديث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وجمع في عهد عمر بن عبد العزيز، ودون في عهد المأمون.ثم إن السيرة النبوية، وهي جزء من الحديث،نجد أعلام الطبقة الأولى ألفوا فيها كتبا في القرن الهجري الأول أمثال عروة بن الزبير (ت٩٤هـ)،وشرحبيل بن سعد(ت ١٠٣هـ)،وأبان بن عثمان (ت ١٠٥هـ) .ثم تلتهم طبقة أخرى في القرن الهجري الثاني أبرز أعلامها عبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت ١٠٥هـ)، وعاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠هـ)،ومحمد بن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ).فما كتبه هؤلاء الرواد الأوائل في المغازي ، والنقول التي وصلتنا عنهم ، هي أبلغ رد على هيكل وأمثاله ممن يرجمون بالغيب ،ويصادمون حقائق التاريخ .

على أن دعوى هيكل هذه إنما تلقفها من بعض المستشرقين ،كما تلقفها غيره أتباع كل ناعق .وإنما أُتي هؤلاء من ظنهم أن أول كتاب في الحديث هو كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)،وأول كتاب في السيرة كتاب المغازي لابن إسحاق ، فاعتبروا العقود الأولى من القرن

---

[1]- ص ٥٠.

[2]- ص ٥١.

[3]- انظر أصول الحديث ، علومه ومصطلحه عجاج الخطيب ص ١٨٩.

الثاني بداية تدوين الأخبار والسير ، وليس الأمر كذلك ، فإن بواكير التدوين بدأت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي القرن الأول الهجري[١].

ولست أرى حاجة إلى الإطالة في الرد على هذه الدعوى أكثر من هذا،فقد فصل القول في ذلك علماء أجلاء كالدكتور مصطفى السباعي في كتابه (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي)، والدكتور صبحي الصالح في كتابه (علوم الحديث ومصطلحه)، .. وآخرون.

أما الحديث الذي استدل به هيكل، وهو ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إنكم ستختلفون من بعدي ، فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فمني،وما خالفه فليس مني)فلم أقف عليه بهذا اللفظ، وساقه الشافعي بلفظ : (ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته، وما خالفه فلم أقله) ورده بقوله : (ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيء صغر ولا كبر)[٢].وعلق الشيخ أحمد محمد شاكر على ذلك قائلا: (هذا المعنى لم يرد فيه حديث صحيح ولا حسن، بل وردت فيه ألفاظ كثيرة كلها موضوع أو بالغ الغاية في الضعف، حتى لا يصلح شيء منها للاحتجاج أو الاستشهاد،وأقرب رواية لما نقله الشافعي هنا فوهاه وضعفه رواية الطبراني في معجمه الكبير من حديث ابن عمرو نقلها الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٠/١ وقال : (فيه أبو حاضر عبد الملك بن عبد ربه ، وهو منكر الحديث)[٣].

قلت: وخرجه الطبراني[٤] من وجه آخر عن ثوبان مرفوعا: (ألا إن رحى الإسلام دائرة قال: فكيف نصنع يا رسول الله ؟ قال: اعرضوا حديثي على الكتاب فما وافقه فهو مني وأنا قلته).وقال الهيثمي: (فيه يزيد بن ربيعة وهو متروك منكر الحديث)[٥].وقال الألباني : ضعيف جدا[٦].

وقد كتب الإمام ابن حزم في هذا المعنى فصلا قيما في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام)، وروى بعض ألفاظ هذا الحديث المكذوب، وأبان عن عللها ،ومن جملة ما قاله في ذلك : (أول ما نعرض على القرآن الحديث الذي ذكرتموه، فلما عرضناه وجدنا القرآن يخالفه، قال الله تعالى : (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[٧]وقال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع

---

[١]- انظر الرسالة المحمدية لسليمان الندوي ص ٧٨.

[٢]- الرسالة ص: ٢٢٤-٢٢٥

[٣]- الرسالة ص ٢٢٤ بالهامش.

[٤]-المعجم الكبير ٩٧/٢.

[٥]- مجمع الزوائد ١٧٠/١.

[٦]- ضعيف الجامع الصغير رقم ٩٣٨.

[٧]- الحشر ٧.

الله)[1]٢.وقال أيضا : (لا سبيل إلى وجود خبر صحيح مخالف لما في القرآن أصلا،وكل خبر في الشريعة فهو إما مضاف إلى ما في القرآن ومعطوف عليه ومفسر لجملته، وإما مستثنى منه مبين لجملته، ولا سبيل إلى وجه ثالث)[2].

ولما كان هيكل لا يثق بكتب الحديث والسيرة،فهو يرى (أن أصدق مرجع للسيرة إنما هو القرآن الكريم فإن فيه إشارة إلى كل حادث من حياة النبي العربي صلى الله عليه وسلم ،يتخذها الباحث منارا يهتدي به في بحثه، ويمحص على ضيائه ما ورد في كتب السيرة المختلفة)[3].وهي كلمة حق أريد بها باطل ، وذلك أنه لا يثق في كتب الحديث والسيرة بدعوى أنها لا توافق القرآن الكريم ،وكأن القرآن جاء جامعا لكل تفاصيل السيرة النبوية! ولو جارينا هيكل في هذه الدعوى ، لكان من حق كل واحد منا–كما يقول مصطفى صبري–(أن يقوم فيرد كل ما ورد به كتاب حياة محمد تقريبا بحجة أنه لم يرد به القرآن !وكان الواجب على هيكل أن يحجم عن تأليف كتابه هذا الذي أسماه حياة محمد فمن أي مصدر كتب ما كتبه فيه،إن كانت كتب السيرة والحديث غير جديرة بالثقة والتعويل، وأصحابها متهمين بالأغراض السياسية والدينية؟!)[4].بل التشكيك في كتب الحديث والسيرة على الإطلاق يؤدي إلى التشكيك في القرآن أيضا، لأن تلك الكتب هي المرجع أيضا في مسألة جمع القرآن، وما التزم فيه من الدقة في ضبط الأصل،وليس لهيكل بأن يتعزى بأن القرآن جمع قبل طروء الفساد على الروايات، لأن نبأ هذا الجمع أيضا يصل إلينا من طريق رواة الحديث والسيرة المطعون في أماناتهم[6].

والغريب أن هيكل في الوقت الذي يشكك في كتب الحديث والسيرة ، نجده يصرح في مقدمة كتابه أن كتب المستشرقين عاونته كما عاونته كتب السيرة والتفسير في الاهتداء إلى غاية يطمئن إليها![7]وأي غاية يمكن الاطمئنان إليها من خلال كتب المستشرقين؟ إنهم ينقلون عن مصادرنا ويحرفون ويؤولون لحاجة في أنفسهم إلا قليلا منهم، فكيف نطمئن إلى كتبهم ، ولا نطمئن إلى كتب الحديث والسيرة؟!إن هذا لشيء عجاب!

---

[1]– النساء ٧٩.

[2]– ٧٩/٢.

[3]– الإحكام في أصول الأحكام ٨١/٢.

[4]– حياة محمد ص ١٨.

[5]– موقف العقل ٨٠ و ٨٤.

[6]– انظر موقف العقل ٩٢/٤ بالهامش و١٨٣/٤.

[7]– حياة محمد ص ٢٠.

وفي كتابه (سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، نظرة جديدة) اتهم هاشم معروف الحسيني رواد المغازي الأوائل بأنهم أضافوا إلى السيرة النبوية ما ليس منها إما عن حب وهوى ، وإما عن حقد وسوء نية! وذكر منهم عروة بن الزبير ، ومحمد بن شهاب الزهري، وشرحبيل بن سعد ،وأبان بن عثمان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ،وموسى بن عقبة وابن إسحاق.رغم اعترافه في مقدمة الكتاب بفضل سبقهم إلى التأليف في السيرة النبوية.

ونجده يكرر التهمة نفسها في مواضع أخرى من كتابه ، حيث يزعم أن هؤلاء الذين دونوا السيرة في مطلع القرن الثاني الهجري قد أدخلوا عليها عشرات القصص والأحاديث إما عن حب وهوى، أو بقصد التشويه والتشويش لسنة الرسول صلى الله عليه وسلموسيرته[١]، ويتهمهم بالكذب والتدليس والعمالة للأمويين[٢].ويتهم الإمام الزهري بالعمالة للأمويين[٣]،ووضع المرويات التي تسيء إلى الهاشميين لصالح الأمويين[٤].

وهؤلاء الذين طعن فيهم الكاتب هم أعلام المغازي، وروادها الأوائل، فعروة بن الزبير(ت ٩٤هـ) ، تابعي ثقة ،روى عنه الستة وهو من فقهاء المدينة السبعة. وأبان بن عثمان (ت ١٠١ أو ١٠٥هـ)، تابعي ثقة.وعاصم بن عمر بن قتادة (ت ١١٩هـ)، تابعي ثقة.وشرحبيل بن سعد أبو سعد المدني مولى الأنصار (ت ١٢٣هـ)، صدوق اختلط بأخرة [٥]،قال عنه ابن عيينة: (لم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدريين منه)[٦].

وموسى بن عقبة (ت ١٤٠هـ) محدث ثقة ،وقد أثنى الأئمة على مغازيه واعتبروها من أصح ما ألف في السيرة، يقول الإمام مالك: (عليك بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي)[٧]ويقول الإمام الشافعي: (ليس في المغازي أصح من كتاب موسى بن عقبة مع صغره وخلوه من أكثر ما يذكر في كتب غيره)[٨].

---

[١]- سيرة المصطفى ﷺ ص ٣٠٩ و ٤٦٢.

[٢]- سيرة المصطفى ﷺ ص ٢٠٦ وما بعدها.

[٣]- سيرة المصطفى ﷺ ص ٢١٧.

[٤]- سيرة المصطفى ﷺ ص ٣١٧.

[٥]- تــقريب التهذيب ص: ٢٦٥

[٦]- تهذيب التهذيب ٤/ ٢٨٢

[٧]- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١٩٥/٢ .

[٨]- المصدر نفسه ١٦٤/٢ .

وابن إسحاق(ت ١٥١هـ) إمام المغازي،قال الإمام الشافعي : (من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق)[١]وقال ابن سيد الناس: (هو العمدة في هذا الباب لنا ولغيرنا)[٢] وقال الذهبي: (كان أحد أوعية العلم حبرا في معرفة المغازي والسير)[٣].

وأما الإمام ابن شهاب الزهري (ت ٩٤هـ) فقد أجمع الأئمة على جلالته وثقته، وما اتهمه به الكاتب من العمالة للأمويين ، فقد سبقه إلى هذه الدعوى الباطلة المستشرق اليهودي جولد تسيهر،وفندها الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي)[٤].

أما حسين مؤنس فقد جعل مغازي الواقدي وطبقات ابن سعد في مقدمة مصادر كتابه (دراسات في السيرة النبوية) ،الأول لغزارة مادته مع الصحة والإتقان، والثاني لحسن اختياره مع الشمول والفطنة، ولكون كل منهما على طريقة المؤرخين لا على منهج المحدثين[٥].ويقول عنهما مع الطبري: (وهؤلاء الثلاثة كانوا مؤرخين لا يتبعون منهج المحدثين اتباعا دقيقا ولهذا تعرضوا لنقد شديد من جانب المحدثين واتهموا بالكذب والتدليس!)[٦].

وهذا الإطلاق غير صحيح، فالطبري وابن سعد كلاهما ثقة، أما الواقدي فهو متهم فعلا عند أهل الحديث ، إلا أن الجميع يسلم بإمامته في المغازي والسير، وكان المفروض على الكاتب وهو المؤرخ الذي يدعي المنهج التاريخي الدقيق أن يتثبت في العبارة ولا يعمم الحكم بهذا الإطلاق.إلا أن الكاتب لا يرى رأي المحدثين، ويقول: (ومعظم إسناد الواقدي من أهل الصدق والأمانة ، ولهذا فإننا ننزله منا منزل الثقة!)[٧].وهو يعتمد كثيرا مغازي الواقدي ويعتبرها من أصدق مراجع السيرة، ويرى أن الواقدي مظلوم عند رجال الحديث المتأخرين،(ربما لأنه لم يتبع منهجهم في رواية كل خبر بسنده!)[٨].وهذا الكلام لا يصح، فليس تضعيف الواقدي فقط لأنه لا يروي كل خبر بسنده ،وليس هذا التضعيف حكرا على رجال الحديث المتأخرين،بل تكلم فيه الأولون أيضا.قال البخاري : (متروك الحديث)[٩] ، وكذا قال النسائي[١].وقال ابن المديني : (ليس

---

[١]- سير أعلام النبلاء ٣٦/٧.

[٢]- مقدمة عيون الأثر ٧/١.

[٣]- انظر تذكرة الحفاظ ١٧٣/١.

[٤]- انظر ص ٢١٣ وما بعدها.

[٥]- ص ١٢٠.

[٦]- ١٢٢.

[٧]- ١٢١.

[٨]- ص ٢٣٣.

[٩]- الضعفاء الصغير ص ١٠٤.

بموضع للرواية،وقال إسحاق بن راهويه: هو عندي ممن يضع) ٢.فهؤلاء أهل الحديث وهذا حكمهم فيه.

وفي مقابل ذلك نجد الكاتب شديد التحامل على سيرة ابن هشام كثير النقد لها ويعتبرها شيئا آخر غير سيرة ابن إسحاق وصرح بأنه لا يكاد يعتمد عليها إلا قليلا جدا٣.وذلك لكون ابن هشام أعاد صياغة سيرة ابن إسحاق وأضاف إليها وحذف منها٤، مما أضر بسيرة ابن إسحاق٥.وهذا الذي قاله الكاتب ودافع عنه ناشئ عن تأثره بمنهج المستشرقين،يقول الدكتور العمري: (وهناك اتجاه خاطئ عند بعض المستشرقين تابعهم فيه بعض مؤرخينا يعلي من شأن مغازي الواقدي ويقدمها على سيرة ابن إسحاق ، والحق أن سيرة ابن إسحاق أدق وأوثق وتتطابق معلوماتها مع معلومات كتب الحديث في كثير من الجوانب)٦.

ثانيا: إنكارالأحاديث الصحيحة:

وإقدامهم على هذا الإنكار وجراءتهم عليه وتسرعهم فيه دليل على جهل فاضح بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم،وبفقه الحديث وبأقوال أهل هذا الشأن.ولعل أعظم من تولى كبر ذلك هم رواد المدرسة الإصلاحية ،وقد ردوا صحاح الأحاديث بدعوى أنها تعارض عصمة النبوة،أو لأنها تناقض العقل، أو لأنها أحاديث آحاد لا تقوم حجة في مجال العقائد.وهو بهذه السنة السيئة التي سنوها قد فتحوا الباب على مصراعيه لكل من جاء بعدهم ممن هب ودب ليتكلم في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ويرد الأحاديث الصحاح بدعاوى لا تقوم على ساق ولا يسعفها جناح،بل الأدهى من ذلك أن نبتت نابتة من بين المسلمين تنكر السنة النبوية وتنفي عنها صفة الوحي جملة وتفصيلا وتطعن في رجالها ،وتزعم بعد ذلك أن مرجعها الأول هو القرآن،وقالوا : حسبنا القرآن ، وسموا أنفسهم أو سُموا بالقرآنيين، وكذبوا ،فما أبعدهم عن القرآن وعن منزل القرآن سبحانه وتعالى الذي أمر في كثير من آياته باتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واتباع سنته، وقرن طاعته بطاعته..

---

[١]- الضعفاء والمتروكون ص ٩٢.

[٢]- انظر تهذيب التهذيب ٣٦٣/٩.ولخص ابن حجر الحكم فيه بقوله: (متروك مع سعة علمه) تقريب التهـذيب ١٩٤/٢.

[٣]- ص ٧٩.

[٤]- ص ١١٨.

[٥]- ص ١٢١.

[٦]- السيرة النبوية الصحيحة ٤٢/١.

وفيما يأتي نماذج من الأحاديث النبوية التي أنكرها بعض المعاصرين الذين كتبوا في السيرة النبوية:

المطلب الأول :حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم:

إنكار هذا الحديث ليس بدعا في كتابات المعاصرين ، بل هو أمر قديم، ومن قبل قال القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) : (اعلم وفقنا الله وإياك أن هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة، وتذرعت به ، لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع)١.

والموقف نفسه الذي اتخذه المعتزلة قديما من هذا الحديث،اتخذه أيضا دعاة المدرسة العقلية الحديثة وفي مقدمتهم الشيخ محمد عبده الذي أنكره بدعوى أن القرآن الكريم نفى السحر عنه صلى الله عليه وسلم ،وأن الحديث على فرض صحته حديث آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها في العقائد،وأنه إذا جاز عليه السحر لكان في ذلك إخلالا بالتبليغ٢.

ومن أقطاب هذه المدرسة الذين أنكروا هذا الحديث هيكل في كتابه(حياة محمد) يقول: (وفي هذه الفترة تجري القصة التي تروي أن اليهود سحروا محمدا بفعل لبيد حتى كان يحسب أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله ، وهي قصة اضطربت فيها الروايات اضطرابا شديدا يؤيد رأي القائل بأنها محض اختراع لا شيء فيها من الحق)٣.

وحبذا لو سمى لنا هيكل هذا القائل بأنها محض اختراع لنعرفه، وكيف تكون كذلك وهي مروية في أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل؟ثم أين هو الاضطراب المزعوم في الروايات ؟وكيف ينكر أن يكون لبيد بن الأعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قتلت اليهود قبله

١- الشفا ١٨١/٢.

٢- انظر الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ٥/تفسير سورة الفلق.وأيده في هذه الدعوى الشيخ محمد الغزالي قائلا : (هنالك قضايا لا يجوز فيها التساهل لخطورتها ،وقد شعرت بالغيظ والحرج وأنا أقرأ أن يهوديا وغدا سحر النبي صلى الله عليه وسلم وأعجزه عن مباشرة نسائه مدة قدرها ابن حجر ستة شهور .أكذلك تنال القمم؟ قالوا: كما يستطيع سفيه أن يحذفه بحجر أو كما يستطيع مجرم أن يصيبه بجرح! وهذا اعتذار مرفوض فإن السحر تسلط على الإرادة والفكر ، وهذا مستحيل،لا سيما والوسيلة تسليط أرواح شريرة أو بعض الجن على الجهاز العصبي للإنسان فيوقعه في اضطراب وحيرة.وقد سرني أن الشيخ محمد عبده رفض هذا الحديث وساءني أن الرجل الضخم هوجم في دينه لمثل هذا الموقف الغيور !)انظر ندوة (السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة) عمان-الأردن ١٤٠٩-١٩٨٩. ٢ /٩١١.

٣- حياة محمد ص ٢٧٤.وانظر ص ٢٥٣ و ٣٠٦.

زكريا ويحيى ، وقتلت الأنبياء وطبخهم وعذبتهم أنواع العذاب،وسمت اليهودية رسول الله صلى الله عليه وسلمفي ذراع شاة مشوية.والسحر أيسر خطبا من القتل والطبخ والتعذيب؟١ .

وممن أنكر هذا الحديث من المعاصرين أيضا حسين مؤنس في كتابه(دراسات في السيرة النبوية)، فهو لا يرى ضرورة للقول بأن محمدا قد سحر، ويعتبر الأمر مجرد حالة مرضية لم يشخصها أحد ، نزلت بالرسول وشفي منها.يقول في ذلك: (وفي معرض الكلام عن صحة رسول الله صلى الله عليه وسلم نقول دون أن ندخل في تفاصيل تهم الفقهاء وأهل الحديث وحدهم: إن الرسول صلى الله عليه وسلم نزلت به في أوائل السنة السادسة للهجرة نازلة مرض ، وقد يكون شكا من بعض الحمى فنسبها الناس إلى السحر ثم أبل من مرضه هذا وعاد يتابع نشاطه المعروف)٢.

وممن سلك مسلك الإنكار أيضا هاشم معروف الحسيني في كتابه(سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم نظرة جديدة) ، وزاد فادعى أن الحديث من موضوعات المنافقين أو الصحابة بقصد التشكيك في رسالة محمد وحتى في القرآن الكريم لأنه إذا جاز على النبي صلى الله عليه وسلم أن يصبح في مرحلة يخيل إليه أنه يقول ويفعل بدون وعي ولا تفكير يجوز عليه أن يقول ما لم يقله)٣.

وليس مستغربا من رافضي مثل صاحب الكتاب أن يطعن في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم،ويتهمهم بوضع الحديث.

والحديث الذي رده هؤلاء مروي في صحيح البخاري٤من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : (سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما ثم رأسي والآخر ثم رجلي فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل فقال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الأعصم قال في أي شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال وأين هو قال في بئر ذروان فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه فجاء فقال يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين قلت

---

[١]- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٨٠-١٨١.

[٢]- دراسات في السيرة النبوية ص ٢١٢.

[٣]- ص ٢٩٠.

[٤]- كتاب الطب باب السحر رقم ٥٧٦٦.

يا رسول الله أفلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شرا فأمر بها فدفنت).

أما ما تعلل به هؤلاء لرد الحديث، فهي التعلة نفسها التي تذرع بها منكرو هذا الحديث قديما،وقد أتى عليها بالنقض جلة من العلماء منهم الإمام المازري الذي قال: (أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها ، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء، قال المازري وهذا كله مردود لأن الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ ،والمعجزات شاهدات بتصديقه فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل .وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين قال وقد قال بعض الناس إن المراد بالحديث أنه كان صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه وطىء زوجاته ولم يكن وطأهن وهذا كثيرا ما يقع تخيله للإنسان في المنام فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة قلت وهذا قد ورد صريحا في رواية ابن عيينة في الباب الذي يلي هذا ولفظه حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن وفي رواية الحميدي أنه يأتي أهله ولا يأتيهم)[1].ومنهم القاضي عياض (ت٥٤٤هـ) الذي اعتبر السحر مرضا من الأمراض يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم كبقية الأمراض مما لا ينكر ، ولا يقدح في نبوته.ثم قال: (وأما ما ورد أنه فعل الشيء و لا يفعله ، فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه وشريعته ، أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا ، وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر.وغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان)[2].وعقب الدكتور البوطي على ذلك بقوله: (وهو كما يحصل للمريض عند شدة الحمى، فمن الأعراض الطبيعية لذلك أن تطوف بالذهن أخيلة وأوهام غير حقيقية لشدة وطأة الحرارة، والأمر في ذلك وأشباهه من الأعراض البشرية التي يستوي فيها الأنبياء والرسل مع غيرهم من الناس)[3].

---

[1]- فتح الباري ٢٣٧/١٠.

[2]- الشفا ١٨١/٢.وانظر نفس المعنى في أضواء البيان للشنقيطي ٤٦٨/٤.

[3]- فقه السيرة ص ٤٦٥.

المطلب الثاني: حديث خوخة أبي بكر رضي الله عنه:

توقف الأستاذ دروزة في قبول ما رواه المفسرون في قوله تعالى (إلا عابري سبيل) أنه كان لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبواب مفتوحة على المسجد النبوي ، وكان ساكنوها يضطرون إلى العبور منها فرخص لهم، ومال إلى القول بأن الترخيص إنما كان لسكان بيوت النبي صلى الله عليه وسلم .كما استغرب الحديث١ الذي أمر فيه صلى الله عليه وسلم بإغلاق خوخات المسلمين من المسجد إلا خوخة أبي بكر، وعلل ذلك بكون مسكن أبي بكر كان بعيدا عن المسجد في السنح،ثم قال: (ونخشى أن يكون لما كان من مشادة بين أهل السنة والشيعة حول الخلافة النبوية أثر ما في هذا الخبر ، ففي الروايات المروية أسبابا لنزول بعض الآيات وفي الأحاديث المسندة أو المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم كثير من هذا الباب)٢.

وليس ثمة ما يخشى والحمد لله، وفي الحديث (اختصاص ظاهر لأبي بكر، وفيه إشارة قوية إلى استحقاقه للخلافة)٣.أما التعليل الذي استند إليه دروزة في رد الحديث فهو ضعيف، إذ كون منزل أبي بكر كان في السنح، لا ينفي أن يكون له منزل مجاور للمسجد، ومنزله الذي كان بالسنح هو منزل أصهاره من الأنصار٤.

المطلب الثالث: حديث أن النبي كان لا يشبع من الطعام:

هذا الحديث أنكره حسين مؤنس في كتابه(دراسات في السيرة النبوية)،ورد على القاضي عياض الذي ذكر في كتابه الشفا أن رسول الله خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير زهدا في الطعام،فكل ذلك يقول الكاتب (يتنافى مع ما ينبغي للنبي من طبع لين لا تشدد ولا تكلف فيه ،

١- أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قال : (خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضي الله عنه فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ إن يكن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو العبد وكان أبو بكر أعلمنا قال : يا أبا بكر لا تبك إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يــبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر) كتاب الصلاة باب الخوخة والممر في المسجد رقم ٤٦٦.

٢- سيرة الرسول ﷺ ١/٩٢-٩٣.

٣- الفتح ٧/١٨.

٤- الفتح ٧/١٨.

ولماذا والله لا يشبع رسول الله من خبز ؟ وأي حكمة أو فضيلة في ذلك ما دام خبز الشعير ميسورا لأفقر أصحابه يملأ منه بطنه متى أراد؟)١.

وهذا مردود على الكاتب وما ذهب إليه القاضي عياض حق وتشهد له الأحاديث الصحيحة.روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية فدعوه فأبى أن يأكل وقال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير٢.وفي صحيح مسلم من حديث عائشة قالت: (ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم)٣.وقد وردت الآيات في هذا المعنى بألفاظ مختلفة ، ولمن أراد التوسع في ذلك أن يرجع إلى كتب الشمائل فقد اشتملت من ذلك على جملة صالحة.ولقد كان من اليسير على النبي لو أراد أن يعيش كما يعيش الأغنياء والمترفون، لكنه آثر الآخرة على الدنيا لعلمه بحقيقة الدنيا،ولذلك لما اشتكت إليه زوجاته رضي الله عنهن شظف العيش الذي هن فيه وسألنه النفقه آلى منهن شهرا لشدة موجدته عليهن ، ونزل في ذلك قرآن يتلى : (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) ٤. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا)٥،قال ابن بطال: (فيه دليل على فضل الكفاف وأخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك رغبة في توفر نعيم الآخرة وإيثارا لما يبقى على ما يفنى فينبغي أن تقتدي به أمته في ذلك)٦.وهذه هي الحكمة الجليلة التي فاتت الدكتور حسين مؤنس !

المطلب الرابع: حديث أن النبي مات ودرعه مرهونة عند يهودي:

وهذا الحديث أيضا مما أنكره حسين مؤنس في كتابه المذكور،وعلل ذلك بأن (رسول الله عاش عمره كله قبل النبوة وبعدها ميسور الحال من كسبه أو عمله أو مما أفاء الله عليه من المال الحلال، وكيف يعقل أن رسول الله يرهن درعه وهو المحارب الباسل ؟ ولا يجوز للفارس أن يرهن درعه قط. ثم يبالغون في ذلك فيقولون: إن الدرع كانت مرهونة عند يهودي، ومثل هذا

١- ص ٢٢٩.

٢- كتاب الأطعمة باب ما كان النبي وأصحابه يأكلون رقم ٥٤١٤.

٣- كتاب الزهد والرقائق رقم ٢٩٧٠.

٤- الأحزاب ٢٨-٢٩.وانظر تفسير ابن كثير ٣/٤١٠-٤١١.

٥- كتاب الرقاق باب كيف كان عيش النبي وأصحابه وتخليه عن الدنيا رقم ٦٤٦٠.

٦- فتح الباري ١١ /٢٩٩.

الكلام فيه إساءة ومساس إلى المصطفى ، ولهذا فنحن لا نقبله ونرفضه من موقع الإيمان والحب للرسول)[1] .

والحديث الذي رده الكاتب خرجه البخاري في صحيحه من حديث عائشة قالت: (توفي النبي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين يعني صاعا من شعير)[2]. ولم يكن الكاتب بدعا في رد هذا الحديث فقد سبقه إلى ذلك أقوام (قالوا رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بأصواع من شعير. فيا سبحان الله أما كان في المسلمين مواس ولا مؤثر ولا مقرض وقد أكثر الله عز وجل الخير وفتح عليهم البلاد .. وهذا كذب وقائله أراد مدحة النبي صلى الله عليه وسلم بالزهد وبالفقر وليس هكذا تمدح الرسل. قال ابن قتيبة ردا عليهم :(ونحن نقول إنه ليس في هذا ما يستعظم بل ما ينكر لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤثر على نفسه بأمواله ويفرقها على المحقين من أصحابه وعلى الفقراء والمساكين وفي النوائب التي تنوب المسلمين ولا يرد سائلا ولا يعطي إذا وجد إلا كثيرا ولا يضع درهما فوق درهم .. وكيف يعلم المسلمون وأهل اليسار من صحابته بحاجته إلى الطعام وهو لا يعلمهم ولا ينشط في وقته ذلك إليهم ، وقد نجد هذا بعينه في أنفسنا وأشباهنا من الناس ونرى الرجل يحتاج إلى الشيء فلا ينشط فيه إلى ولده ولا إلى أهله ولا إلى جاره ويبيع العلق ويستقرض من الغريب والبعيد وإنما رهن درعه عند يهودي لأن اليهود في عصره كانوا يبيعون الطعام ولم يكن المسلمون يبيعونه لنهيه عن الاحتكار فما الذي أنكروه من هذا حتى أظهروا التعجب منه وحتى رمى بعض المرقة الأعمش بالكذب من أجله)[3].

المطلب الخامس: حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون: وهذا الحديث ثابت في الصحيحين[4]،لكن الشيخ الغزالي رد هذا الحديث بدعوى أنه يشعر بأن الرسول صلى الله عليه وسلم باغت القوم على غرة وهذا أمر مستنكر في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واطمأن الكاتب إلى رواية ابن جرير على ضعفها لأنها تتفق مع قواعد الإسلام أنه لا عدوان إلا على الظالمين ، وأول حديث الصحيحين على أنه مرحلة ثانية

---

[1]- ص ٢٠٢.

[2]- كتاب المغازي رقم ٤٤٦٧.

[3]- تأويل مختلف الحديث ص: ١٤٢-١٤٦.

[4]- البخاري كتاب العتق باب من ملك من العرب رقيقا، رقم ٢٥٤١ ومسلم كتاب الجهاد والسير باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام من غير تقدم الإعلام بالإغارة ، رقم ١٧٣٠.

من مر احل الإسلام[1].واعتراض الشيخ لا يسلم له، ذلك أن كتب الحديث بحكم عدم تخصصها لا تورد تفاصيل المغازي وأحداث السيرة ، بل تقتصر على بعض ذلك، مما ينضوي تحت شرط المؤلف أو وقعت له روايته، ومن ثم فإنها لا تعطي صورة كاملة لما حدث وينبغي إكمال الصورة من كتب السيرة المختصة[2].وكتب السيرة توضح أنه أنذر بني المصطلق ، فلو اقتصرنا على رواية الصحيحين دون أن نتبين حكم الإسلام في إنذار العدو لوقعنا في خطأ ولبس .والشيخ الغزالي نفسه يقول : (إن الحكم الديني لا يؤخذ من حديث واحد مفصول عن غيره وإنما يضم الحديث إلى الحديث ثم نقارن الأحاديث بما دل عليه القرآن الكريم)[3].فكيف فاته ذلك هاهنا ؟ ورواية مسلم تدل على أن الغارة على بني المصطلق وقعت دون إنذار لأنهم ممن بلغتهم دعوة الإسلام، وقد كانوا يعتبرون في حرب مع المسلمين منذ اشتراكهم مع قريش في غزوة أحد، كما كانوا يجمعون الجموع لحرب المسلمين [4]، فقد أخرج في صحيحه من حديث ابن عون قال: : (كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال- أي دعوة الناس إلى الإسلام- قال: فكتب إلي إنما كان ذلك في أول الإسلام قد أغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني المصطلق وهم غارون ،وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم وأصاب يومئذ -قال يحيى- أحسبه قال جويرية)[5] . ويوضح ابن إسحاق سبب الغزوة فيقول رواية عن شيوخه: (بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحارث زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ،خرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم ،ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه)[6]. وذكر ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك (بعث بريدة بن الحصيب الأسلمي يعلم علم ذلك ، فاستأذنه أن يقول فأذن له ،فأتاهم ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه ، فوجدهم قد جمعوا الجموع ، قالوا من الرجل؟ قال : منكم ، قد بلغني من جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن أطاعني فنكون

---

[1]- فقه السيرة ص ١٠-١١.

[2]- انظر المجتمع المدني في عهد النبوة، خصائصه وتنظيماته الأولى، د.أكرم ضياء العمري ص ٣٦-٣٧.

[3]- السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث ص ١١٨.

[4]- السيرة النبوية الصحيحة ٤٠٧/٢.

[5]- كتاب الجهاد والسير باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام من غير تقدم الإعلام بالإغارة رقم ١٧٣٠.

[6]- السيرة النبوية لابن هشام ٣٣٤/٣.

يدا واحدة حتى نستأصله، قال الحارث: فنحن على ذلك فعجل علينا ، فقال بريدة: أركب الآن وآتيكم بجمع كثير من قومي ، فسروا بذلك ،ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهم فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وخرج مسرعا) ١.

وتؤكد هاتان الروايتان ما سبق ، من أن بني المصطلق قد بيتوا العدوان على النبي صلى الله عليه وسلم ،فكانت المباغتة ردا للعدوان.ومثلهم في ذلك مثل الأحزاب الذين قصدوا القضاء عليه، والفرق أن النبي صلى الله عليه وسلم استطاع أخذ زمام المبادرة قبل وصول بني المصطلق إلى المدينة، فهل كان يوم الأحزاب بحاجة إلى دعوة القوم وقد جاءوا للقضاء عليه؟!٢.

ثالثا: إنكار المعجزات والتشكيك فيها والتعسف في تأويلها٣:

وهذا ميدان زلت فيه أقدام كثير ممن كتب في السيرة النبوية في هذا العصر، وكان من أبرز من تولى كبر ذلك رواد المدرسة العقلية الحديثة، أو ما يمكن تسميته بالاتجاه التوفيقي في كتابة السيرة النبوية ،وهو الاتجاه الذي حاول التوفيق بين معطيات الدين الإسلامي و معطيات الحضارة الغربية الحديثة.ولقد كانت مسالة المعجزات من أكثر قضايا السيرة النبوية التي برز فيها هذا الاتجاه، تارة بإنكارها وعدم ذكرها أصلا،وتارة بالتشكيك فيها، وتارة أخرى بتأويلها حتى تصبح من قبيل المألوف.فالطير الأبابيل تؤول بالجراثيم والملائكة التي أمد الله تعالى بها المؤمنين في غزوة بدر تفسر بالمدد المعنوي ورحلة الإسراء والمعراج تؤول بوحدة الوجود وسياحة الروح ، بل إن بعضهم أوّل المعجزات النبوية كلها على أنها ضرب من الحظ الذي رافق النبي ! واعتبر هؤلاء القرآن الكريم المعجزة الوحيدة والقطعية التي تثبت نبوة محمد،وحتى هذا الاعتبار من هؤلاء فيه نظر، إذ حتى المعجزات و الغيبيات التي أوردها القرآن الكريم كالإسراء والمعراج ومدد الملائكة يوم بدر أعملوا فيها التأويل العقلي حتى توافق المألوف، وتساير العقلية الغربية. فهذا الشيخ رشيد رضا وهو من تلاميذ الشيخ محمد عبده ومن رواد هذه المدرسة يرى أنه لولا حكاية القرآن لآيات الله التي أيد بها موسى وعيسى عليهما السلام لكان إقبال الأحرار عليه أكثر واهتداؤهم به أعم وأسرع! ويرى كذلك أن العجائب لكونية

١- الطبقات الكبرى ٦٣/٢.

٢- انظر أضواء على دراسة السيرة ص ٤٦.

٣- للتوسع في هذه المسألة ينظر (منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير) للدكتور فهد الرومـــي ص ٥٤٥-٥٩٦.

والمقصود بها المعجزات النبوية هي مثار شبهات وتأويلات كثيرة في روايتها وفي صحتها وفي دلالتها إضافة إلى أنها من منفرات العلماء عن الدين في هذا العصر!١.

وكأن الشيخ يريد من القرآن الكريم أن يجامل أحرار الإفرنج هؤلاء فيذكر ما يرضون ويعرض عما لا تستسيغه عقولهم، حتى ينقادوا لدين الإسلام، والله عز وجل يقول: (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض)٢.

وقد سرت عدوى هذا الإنكار والتعسف في التأويل إلى كثير ممن كتبوا في السيرة النبوية من المحدثين ٣ ،منهم الشيخ عبد الحليم محمود الذي ترجم كتاب(محمد رسول الله)، للفرنسي المسلم إتين دينيه ، وعلق على بعض كلامه قائلا: (على أن بعض المعجزات التي تنسب إلى محمد ليست من نصوص القرآن وإنما قد نسبها إليه مؤرخو العصور المتأخرة تقليدا للمعجزات التي تنسب إلى المسيح فهي ليست من الدين في شيء!)٤.

ومنهم عبد المنعم ماجد الذي كتب يقول : (..لكن محمدا لم يرض أن ينسب إليه معجزة غير معجزة نزول الوحي عليه من قبل الله فكان يرد عليهم بقوله : (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا)٥ ومع ذلك لم يحل رفض النبي الإتيان بالمعجزات من أن ينسب إليه صفات خارقة.فبعضهم يؤكد أنه حين ولادته خرج نور أضاء الشام وأنه وهو صغير شقت الملائكة بطنه وغسلوا قلبه بالثلج..وأيضا فسروا سورة الإسراء بأن الله رفعه إلى السماء، وأنه قطع رحلة سماوية في بضع ساعات من الليل)٦.

١- انظر تفسير المنار ١٥٥/١١.

٢- المؤمنون ٧٢.

٣- وإني لأعجب من رجل في مقام الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله تعالى- يدعي أن لا صلة للعقيدة ولا للعمل بمسألة المعجزات، فالرجل الفاسد -يقول-لا يغفر له فساده إيمانه بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أظلته غمامة أو كلمه جماد ، والرجل الصالح لا يغمز مكانته إنكاره لهذه الخوارق !(فقه السيرة ص ٤٨)

قلت: بل للعقيدة صلة بهذه البحوث إذ من مقتضيات الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الإيمان بما أكرمه اله تعالى به من معجزات ، وكيف يستقيم إيمان الرجل الصالح إذا هو أنكر ما ثبت قطعا من معجزاته صلى الله عليه وسلم، وهي أكثر من أن تعد وتحصى.فالمطلوب هاهنا هو الثبوت فقط ، فمتى صحت نسبة معجزة ما إلى النبي صلى الله عليه وسلم وجب الإيمان بها ، ولا معنى لإنكارها ، وإلا فهو إنكار لسنة ثابتة، وفي ذلك من الخطورة ما فيه.

٤- ص ٦٣ بالهامش.

٥- الإسراء ٩٣.

٦- التاريخ السياسي للدولة العربية ص١٠١/١.

ولعل أبرز من يمثل هذا الاتجاه الدكتور هيكل في كتابه (حياة محمد) ، وحين صدور هذا الكتاب انبرى الشيخ مصطفى المراغي للثناء عليه والإشادة بالطريقة العلمية التي سار عليها هذه الطريقة التي تستبعد كل ما أوردته كتب الحديث والسيرة من معجزات ، وإنما هو القرآن والقرآن فقط.

ومما جاء في تقديم المراغي قوله: (ولم تكن معجزة محمد القاهرة إلا في القرآن وهي معجزة عقلية ، وما أبدع قول البوصيري:

لم يمتحنا بما تعيا العقول به حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم)[1]

ونسي الشيخ أو تناسى أن يقف عند كثير من المعجزات التي أشار إليها البوصيري في القصيدة نفسها مثل قوله:

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة تمشي إليه على ساق بلا قدم

وممن وقف مدافعا عن هيكل أيضا الشيخ رشيد رضا الذي يقول : (أهم ما ينكره الأزهريون والطرقيون على هيكل أو أكثره مسألة المعجزت أو خوارق العادات ، وقد حررتها في كتاب الوحي المحمدي من جميع مناحيها ومطاويها في الفصل الثاني وفي المقصد الثاني من الفصل الخامس بما أثبت به أن القرآن وحده هو حجة الله على ثبوت نبوة محمد بالذات ونبوة غيره من الأنبياء ، وآياتهم بشهادته لا يمكن في عصرنا إثبات آية إلا بها، وأن الخوارق الكونية شبهة عند علماءه لا حجة، لأنها موجودة في زماننا ككل زمان مضى وأن المفتونين بها هم الخرافيون من جميع الملل !)[2].

والعجيب حقا هذا الفصل الذي يقيمه المراغي ورشيد رضا وهيكل وغيرهم بين معجزة القرآن والمعجزات الأخرى (إذ لم تبلغنا معجزات رسول الله المختلفة إلا من حيث بلغتنا منه معجزة القرآن والإقدام على تأويل هذا وتسليم ذاك طبق ما يستهوي النفس ويتـــفق مع الغرض إسفاف غريب في تصنع البحث والفهم لا يقدم عليه من كان كريما على نفسه معتزا بعقله)[3].

وممن سار في ركاب هيكل محمد جميل بيهم في كتابه (تاريخ فلسفة محمد) ، وتحت عنوان (هل قام الإسلام على المعجزات) يقول: (الواقع أن ثقات العلماء من المسلمين كابن رشد في كتابه (مناهج الأدلة) أجمعوا على أن محمدا كان في دعوته إنما يعتمد على الإقناع والإيمان ،

---

[1]- حياة محمد ، ص: (ك-ل).

[2]- انظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الرومي ص ٥٥٨ نقلا عن مجلة المنار مجلـــد ٣٤، الجزء ٧٩٣/١٠ .

[3]- فقه السيرة للبوطي ص ١٠.

وكان كما وصفه حسين هيكل في كتابه حياة محمد حريصا على أن يقدر المسلمون أنه بشر مثلهم يوحى إليه حتى كان لا يرضى أن تنسب إليه معجزة غير القرآن !وأنكر هؤلاء الثقات على أمثال البيهقي وأبي نعيم والقاضي عياض تكديسهم المعجزات فيما وضعوه من أسفار..وكان استناد هؤلاء الثقات يقتصر على القرآن الذي بين أيدينا وعلى الحديث الصحيح وهما وحدهما المرجع في هذا الشأن والحكم)١.

وليت هؤلاء ،والكاتب منهم، يصدقون في هذه الدعوى، فقد تضمن القرآن الكريم الإشارة إلى بعض المعجزات ،كالإسراء وانشقاق القمر والإخبار بالمغيبات، وحفلت كتب الصحاح وعلى رأسها البخاري ومسلم بالأحاديث الوفيرة عن معجزاته ، فإذا كان القرآن الكريم والحديث الصحيح هما حقا مرجع هؤلاء الثقات في هذا الشأن فلا سبيل إلى إنكار ما ورد فيها من معجزات أو التعسف في تأويلها بما لا يقبله الشرع.وهل صحيح ما ادعاه الكاتب أن الرسول كان لا يرضى أن تنسب إليه معجزة؟ إذن لكان نهى أصحابه عن رواية الأحاديث التي تشير إلى ذلك،ولوصلنا ذلك النهي، كما وصلتنا نواهيه الأخرى، ولما وصلتنا تلك المعجزات إطلاقا، فلما لم يصلنا من ذلك النهي شيء ووصلنا من معجزاته الشيء الكثير ، تبين لكل عاقل أن كلام هيكل الذي تبناه الكاتب مجرد دعوى لا تستند إلى دليل.

أما هؤلاء الذين ذكرهم الكاتب وأنكر عليهم تكديس المعجزات فيما وضعوه من أسفار كأبي نعيم والبيهقي والقاضي عياض فهم علماء ثقات مشهود لهم بالعلم والعدالة،وإذا كانت كتبهم التي ألفوها في دلائل النبوة قد شابها الضعيف والموضوع ،فإن الصحيح فيها هو الغالب،والمنطق السليم يقضي بأن نميز هذا عن ذاك ، لا أن نلغي الكل جملة وتــفصيلا.

ولقد حاول الكاتب وضع السيرة النبوية بأسلوب يعتمد على النواميس الطبيعية التي تربط الأسباب بالمسببات وترتب النتائج على المقدمات ، وأرجع نجاح دعوة محمد إلى أسباب تتصل بهذه النواميس ، لكن ما ينتــقد عليه أنه اتخذ هذه النواميس تكأة لإنكار المعجزات ،وأغفل أسبابا أخرى تتصل بعالم الغيب كان لها أثر حاسم في هذا النجاح،فهناك عناية الله تعالى ورعايته ونصره الذي يتنزل، وجنوده التي لا ترى.. في الهجرة مثلا اتخذ النبي جميع الاحتياطات الممكنة لتأمين هذه الرحلة المباركة ، وتربص المشركون بالرسول ليقتلوه فخرج من بينهم وقد أعمى الله أبصارهم فلم يروه، وفي الغار هو وصاحبه أبو بكر وقد وقف المشركون على حافته حتى لو أبصر أحدهم موضع قدميه لرآهما ، لكنها العناية الإلهية تحوط نبيه الكريم وصاحبه.وفي طريقهما إلى المدينة يطاردهما سراقة فتتدخل العناية الإلهية مرة أخرى ،

١- ص ٢٢٥-٢٢٦.

وتغوص قوائم فرسه في الرمال ..وما أكثر الأمثلة في السيرة النبوية التي تبرز فيها هذه الحقيقة واضحة للعيان ،ولا يردها إلا معاند مكابر.وكم مرة حاول الكفار قتله واغتياله ،وكانت عين الله تحوطه وترعاه ، أليس قد قال الله تعالى (والله يعصمك من الناس)١.

ثم إن الكاتب انفرد برأي لعله لم يسبق إليه ، ولم أجد من تابعه فيه من الكاتبين المعاصرين،حيث اعتبر المعجزات التي أكرم الله تعالى بها نبيه الكريم مجرد حظ كان يرافق النبي ! يقول: (كان محمد من المحظوظين الذين رافقهم حسن الطالع ، فبالإضافة إلى العناصر الكثيرة الخارجية والداخلية التي خدمته، فقد عرضت في حياته حوادث متعددة رافقها الحظ عفوا على غير انتظار وكان الحظ وسيلة لسلامته، وكان أيضا وسيلة لخروجه منها منتصرا)٢.وساق الكاتب أمثلة لهذه الدعوى منها يوم لجأ النبي وأبو بكر إلى غار ثور، يقول : (وهكذا فإن محمدا وصاحبه ما كانا يسلمان من الغدر لولا أن الحظ أو القدر إن شئت أن تقول،صرف هؤلاء الفتيان عنهما وحول رائدهم عن دخول الغار).وبعد ذكره بعض محاولات اغتيال النبي عقب قائلا: (ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل لأن الحظ كان يرافقه:

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان)٣.

فانظر كيف يتهرب الكاتب من تسمية هذا الذي يحدث معجزة ليسميه حظا،والبيت الذي استشهد به لا يسعفه، إذ مقصود قائله العناية الإلهية،والتي تمثل المعجزات أحد مظاهرها الكبرى.

وأغرب من هذا أن طه حسين يطلع علينا بتعريف غريب للمعجزة لم يسبق إليه، يقول عن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم: (..ثم لا يخلو أمره من هذه المعجزات التي تبهر العقول وتسحر الألباب دون أن تحدث في طبيعة الأشياء حدثا أو تتجاوز بعادات الناس الجارية طريقها المألوف!)٤. ولا أدري كيف وفق الكاتب بين كون الأمر معجزة أي خارقا للعادة وبين كونه لا يحدث في طبيعة الأشياء حدثا أو يخرج عادات الناس عن المألوف ! إن هذا الكلام هو التناقض بعينه .

وممن نحا هذا المنحى أيضا محمد عزة دروزة في كتابه (سيرة الرسول: صور مقتبسة من القرآن الكريم) فهو لا يسلم بصحة المعجزات المروية في مصادر السيرة ، خاصة تلك التي وقعت في مكة بناء على تحدي الكفار، وحجته في ذلك (سكوت القرآن عنها مع فترة تحدي

١- المائدة ٦٩.

٢- ص ١٩٨.

٣- ص ١٩٩.

٤- على هامش السيرة ٥٥٨/٣.

الكفار، واقتصار الأجوبة القرآنية على السلب،هذا إلى أن الروايات غير متواترة ولا وثيقة، وكثير منها إن لم نقل أكثرها لم ترد في المدونات القديمة إلى ما فيها من تخالف كبير في الوقت نفسه!)[1].

والعجيب كيف يدعي الكاتب أن هذه المعجزات غير متواترة، وكيف يفهم التواتر ، وقد وقع أكثرها في محافل المسلمين وجموعهم ورواها الجماء الغفير ، وتواترت رواياتها في كتب الحديث وفي مقدمتها الصحيحان، وأجمعت عليها كتب السيرة؟.

ثم إن الكاتب قد سبق له الطعن في مدونات السيرة القديمة فكيف اطمأن إليها الآن في تأييد رأيه بدعوى أن أكثر هذه المعجزات لم يرد في هذه المدونات!مع أن واقع هذه المدونات واشتمالها على أكثر المعجزات النبوية مفصح بخلاف ما قاله.وإن استناد دروزة للموقف السلبي للقرآن إزاء تحدي الكفار في إنكار كثير من المعجزات لا يسلم له، فالقرآن الكريم صريح في تعليل ذلك ،قال عز وجل : (وما منعنا أن نأتي بالآيات إلا أن كذب بها الأولون)[2] فلا معنى لإجابة قوم ديدنهم التكذيب والعناد لا التصديق والإيمان.

وممن سار في هذا المسار أيضا محمود عباس العقاد في كتابه (عبقرية محمد) ،يقول: (إنما نجحت دعوة محمد لأنها دعوة طلبتها الدنيا ومهدت لها الحوادث ، وقام بها داعية تهيأت له بعناية ربه وموافقة أحواله وصفاته، فلا حاجة بها إلى خارقة ينكرها العقل أو إلى علة عوجاء يلتوي بها ذوو الأهواء، فهي أوضح شيء لمن أحب أن يفهم وهي أقوم شيء سبيلا لمن استقام)[3].

والذي جعل العقاد يركب هذا المركب أنه أراد أن يجلو صور العظمة كما يفهمها البشر،وتوجه بكتابه لا للمؤمنين برسالة محمد فحسب بل وأيضا لغير المؤمنين بها،ولذلك جاء كتابه خلوا من كل أثر للمعجزات.وإذا كان العقاد قد وفق في إبراز جوانب العظمة والعبقرية وملكة التخطيط والتنظيم في شؤون الحرب عند النبي ، فإنه أخطأ حين جعل العامل الأساس في ذلك امتيازه الذاتي ومواهبه الفطرية، وتغافل عن عوامل أخرى تتصل بعالم الغيب(فهناك وعد الله ورعايته وتوفيقه وملائكته المقاتلون والنعاس الذي يغشيه الناس أمنة والمطر الذي يطهرهم والرياح التي

---

[1]- ١/٢٣٠.

[2]- الإسراء ٥٩.

[3]- ص ٢٧.

تقتلع خيام المشركين وتثبيته لأفئدة المقاتلين وقذفه الرعب في قلوب الكافرين وقدره النافذ، مائة عامل وعامل هيأت أسباب النصر فكانت الغلبة لجند الإيمان جند الله)١.

وقس على هذا سائر جوانب العبقرية الأخرى التي تحدث عنها العقاد فقد اكتفى بذكر الأسباب المادية وأظهره مجرد إنسان يعمل بمواهبه النامية وملكاته المتــفتحة وأغفل ذكر الأسباب الغيبية التي شكلت مكونا رئيسا في حياته صلى الله عليه وسلم.

وقد أعجب الشيخ مصطفى صبري بكتاب العقاد في بعض مباحثه،لكنه عارضه لكونه من دعاة العبقرية ومروجيها بدل النبوة ومعجزاتها.إلا أن مؤلفه في نظر الشيخ مصطفى صبري لم يتورط في السخافات التي تورط فيها غيره من دعاة العبقرية ومنكري المعجزات أمثال زكي مبارك وفريد وجدي ومحمد حسين هيكل والشيخ شلتوت٢.

وحتى يتجلى موقف هؤلاء واضحا من مسألة المعجزات، أسوق هاهنا أمثلة على ذلك،وقسمتها إلى معجزات قبل النبوة وأخرى بعدها:

المطلب الأول :معجزات قبل النبوة:

١- معجزة الطير الأبابيل:

وهي معجزة ثابتة بنص القرآن، قال تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل،ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول)٣.

في تفسيره لهذه السورة جوز الشيخ محمد عبده أن تكون الطير الأبابيل هي ما يسمى اليوم بالميكروبات، كما جوز أن تكون الحجارة هي جراثيم بعض الأمراض ، وذلك حتى يجعلها أمرا مألوفا تستسيغه أذهان من لا يؤمنون بالخوارق.وزاد فادعى أن ذلك مما اتــفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به، يقول : (وفي اليوم الثاني فشا في جند الحبشي داء الجدري والحصبة ، قال عكرمة: وهو أول جدري ظهر في بلاد العرب، وقال يعقوب بن عتبة فيما حدث: أن أول ما رؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام..هذا ماتــفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به .. فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض وأن تكون هذه الحجارة من الطين اليابس الذي تحمله الريح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فإذا اتصل بجسد دخل في مسامه فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم

١- الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقويم ، غازي التوبة ص ١٤٥.

٢- موقف العقل ١١/٤ وما بعدها.

٣- سورة الفيل الآيات ١-٥.

وتساقط لحمه، وإن كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر ، وإن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنه ، وهو فرق وجماعات لا يحصي عددها إلا بارئها.هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير السورة وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته!)١.

وما زعمه الإمام من كون الروايات اتــفقت على ما ذكر غريب في باب العلم وعجيب في تفسير القرآن ،بل الروايات مختلفة في ذلك،وكذا أمر الجدري لم تــتــفق الروايات على وقوعه في جيش أبرهة ، بل لم تشر أي رواية إشارة صريحة إلى وقوعه فيهم إلا رواية عكرمة.ثم إن القضية ليست في وقوع الجدري في جيش أبرهة أو عدم وقوعه ، فهذا أمر لم يشر إليه القرآن لا بإثبات ولا نفي ،بل القضية هي تأويل الطير على أنه البعوض أو الذباب ، وتأويل الحجارة من سجيل بالجراثيم٢.والحال أن السورة صريحة بإرسال الطير، وهي مكية،والمخاطبون بها، وفيهم كثير من أعداء الرسول ،رأوا هذه الطيور، ولو لم يروها لبادروا إلى تكذيب القرآن،(ولا يقبل أن يقال إنهم رأوا المكروب أو الجراثيم لأنهم لا يستطيعون رؤيتها، ولا يقال إنهم رأوا الذباب أو البعوض لأنهم لا يرون الحجارة التي تحملها فكان لابد أن يكونوا رأوا طيرا ورأوا الحجارة التي تحملها،ورأوا الرمي، ولا يهم بعد ذلك أن يكون هلاك الجيش بمجرد وقوع الحجر أو أن تكون هذه الحجارة قد أصابته بمرض من الأمراض ، فالقرآن لم يصرح بذلك ، بل ذكر هلاكهم بهذا العقاب الشديد)٣.

هذا فضلا عن أن هذه الجراثيم لا علم للعرب بها وقت نزول القرآن بل هي من مكتشفات الطب الحديث ،و(العربي إذا سمع لفظ الحجارة في هذه السورة –الفيل– لاينصرف ذهنه إلى تلك الجراثيم بحال من الأحوال ، وقد جاء القرآن بلغة العرب ، وخاطبهم بما يعهدون ويألفون)٤.

وقد وافق العقاد الشيخ محمد عبده في رأيه لكن على سبيل الجواز لا على سبيل الجزم، قائلا : (فإذا قال المفسر إن هزيمة أصحاب الفيل ربما كانت من فعل هذه الجراثيم فذلك قول مأمون

---

[١]– الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ،جمع وتحقيق محمد عمارة ٥/٥٢٨–٥٢٩.

[٢]– انظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الرومي ص : ٧٢٤–٧٢٥.

[٣]– المرجع نفسه ص ٧٢٦.

[٤]– التفسير والمفسرون الدكتور محمد حسين الذهبي ٢/٥٦٩.

على سبيل الجواز والترجيح ، ولكنه غير مأمون على الجزم والتوكيد، لأن الحفريات التاريخية قد تكشف لنا غدا عن حجارة من سجيل أصيب بها أصحاب الفيل فجعلتهم كعصف مأكول)١.

وإلى نحو هذا التأويل الذي ذكره الشيخ محمد عبده ذهب الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره٢،وقال محمد فريد وجدي: (و لايبعد أن تكون تلك الطيور ميكروبات الطاعون إذ لا مانع من تسميتها طيورا)٣.

وأما الدكتور هيكل فقال: (..كان وباء الجدري قد تفشى بالجيش وبدأ يفتك به، وكان فتكه ذريعا لم يعهد من قبل قط ،ولعل جراثيم الوباء جاءت مع الريح من ناحية البحر!) ٤. والغريب أن هيكل الذي يتكلف هذا التأويل الغريب يأتي بعد ذلك فيسوق سورة الفيل التي تؤرخ لهذا الحدث المعجزة،وهي صريحة في أن هلاك أبرهة وجيشه كان بفعل الطير التي تحمل حجارة من سجيل، فكيف يعدل عن صريح السورة إلى تأويل هذه المعجزة بجراثيم الوباء التي ربما جاءت مع الريح من ناحية البحر!

وممن نحا هذا المنحى أيضا الدكتور جواد علي في كتابه (تاريخ العرب في الإسلام –السيرة النبوية–)٥حيث عزا هزيمة الأحباش إلى انتشار وباء خبيث فتك فيهم وأهلك أكثرهم.والغريب أن هذا الذي تبناه الكاتب هو نفسه داخل في جملة ما عابه على من يفسر القرآن بالأهواء أي ما يطلقون عليه الطريقة العصرية للموافقة بينه وبين العلم الحديث.

٢– معجزة شق الصدر:

وقد صح بها الحديث، أخرج الإمام مسلم من حديث أنس (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال :هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا: إن محمدا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتــقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره)٦.

١– مقال (في البيان القرآني والطير الأبابيل) الدكتور محمد رجب البيومي مجلــة الأزهــر العــدد ٦٢، ســنة ١٤١٠–١٩٨٩، ص : ١١٥

٢– تفسير المراغي ٢٤٣/٣٠.

٣– المصحف المفسر ص ٨١١.

٤– حياة محمد ، ص ١٠٢.

٥– ٧٣/١.

٦– كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ،١٤٧/١.

لكن هذه المعجزة لم تصح عند نفر من كتاب السيرة في العصر الحديث أمثال طه حسين وهيكل.يقول طه حسين: (وأي بأس على المسلمين في أن يسمعوا أن نفرا من الملائكة أقبلوا إلى النبي وهو يلعب فأضجعوه وشقوا عن قلبه وغسلوه حتى طهروه ثم ردوه كما كان،وأقاموه كأنه لم يصبه مكروه؟لم يصح الحديث بهذا ! ولكن المسلمين يتحدثون به ويستمعون له منذ أكثر من اثني عشر قرنا لم يفسد لذلك ذوقهم ولم يضعف إيمانهم)١.

وأما هيكل فساق هذه القصة، وذكر احتياط ابن إسحاق والطبري في روايتها،ثم شكك في صحتها ورآها ضعيفة السند، اعتمادا على المستشرقين، وذكر منهم سير وليم موير ودرمنجم، ثم برر مواقفهم قائلا: (وإنما يدعو المستشرقين ويدعو المفكرين من المسلمين إلى هذا الموقف من ذلك الحديث أن حياة محمد كانت كلها إنسانية سامية وأنه لم يلجأ في إثبات رسالته إلى ما لجأ إليه من سبقه من أصحاب الخوارق، وهم يجدون في هذا من المؤرخين العرب والمسلمين سندا حين ينكرون من حياة النبي العربي كل ما لا يدخل في معروف العقل ويرون ما ورد من ذلك غير متفق مع ما دع إليه القرآن من النظر في خلق الله، وأن سنة الله لن تجد لها تبديلا)٢. وليس غريبا أن ينكر هيكل هذه المعجزة، لكن الغريب حقا أن يعتمد على ابن إسحاق والطبري في التشكيك فيها،وهو الذي أعلن من قبل تشكيكه في كتب الحديث والسيرة، وأغرب من ذلك اعتماده على المستشرقين في رد هذه المعجزة،مع أنها مروية في الصحاح وغيرها من كتب الحديث.وكم كان الدكتور حسين مؤنس موفقا في إثبات هذه المعجزة،على خلاف كثير من المحدثين الذين أنكروا المعجزات وظنوا ذلك حصافة ونفاذ فكر، قال: (ولم يعجبنا أن يتعالم بعض المحْدثين ممن ظنوا أن إنكار حادثة شق الصدر حصافة ونفاذ فكر.ونقول لهؤلاء: يا قوم ما دمتم قد سلمتم بأن رسول الله نبي الله الذي اصطفاه ربه ليوحي إليه قرآنه ليبينه للناس ويفتح به للإنسانية عصرا جديدا، فما معنى إنكاركم لشق الصدر وحنين الجذع؟ أليس هذا من

١- مقال (السيرة النبوية بين الخيال والتاريخ الشعبي) نبيلة إبراهيم سالم ، مجلة عالم الفكر المجلد ١٢، العدد ٤، السنة ١٩٨٢، ص: ٣٦٧-٣٦٨. وهذا الكلام قاله ردا على وزير الأوقاف المصري آنذاك محمد نجيب الغرابلي الذي أحب تخليص المسلمين من كتب السيرة المعروفة بالموالد لما فيها من أكاذيب، ودعا سنة ١٣٥٣ هـ إلى وضع صيغة جديدة للمولد تراعى فيها الصحة، فقوبلت دعوته بالترحيب من الهيئات العلمية والأدبية ، ولم يعارضه من رجال الأدب إلا طه حسين ، فكتب يرد على الوزير ! انظر (طه حسين في ميزان العلماء والأدباء) لمحمود مهدي الإستانبولي ص: ٢٣٦.

٢- حياة محمد ص ١١٢.

ذاك؟ وإذا لم يدخل دماغك شق الصدر لأنه خارج عن المعهود، فكيف يدخل دماغك وحي الله لرسوله في الغار بقرآن عربي مبين ، وهو أيضا خارج عن المعهود؟!)[1] .

٣- معجزة تسليم الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم :

وإنكار هذه المعجزة من المزالق التي وقع فيها الدكتور حسين مؤنس، وعلل ذلك بأن الشجر والحجر إذا كان يناديه قبل مشهد الغار أنه رسول الله فما معنى فزعه وخوفه على نفسه بعد أن نزل عليه الملك أول مرة؟ وخطأ ابن إسحاق في الخبر الذي ساقه بخصوص ذلك[2] .وقد فات الكاتب أن الخبر رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن)[3].

المطلب الثاني: معجزات بعد النبوة :

١-معجزة الإسراء والمعراج :

وهي معجزة ثابتة بنص القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة،لكن نفرا من الكاتبين المحدثين أنكروها على حقيقتها ،وتأولوها على أنها رؤيا منام ليس إلا!من هؤلاء الشيخ محمد الخضري في كتابه (محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية) حيث مال إلى القول بأن الإسراء كان رؤيا صادقة وكان بالروح لا بالجسد ، يقول: (وإطلاع الله نبيه في النوم على ما يريد إطلاعه عليه لا يختلف شيئا عن إطلاعه إياه في يقظته لأن رؤيا الأنبياء حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلا يمنع هؤلاء من رأيهم إضافة الإسراء إلى عبده والروح إذا جلي لها المسجد الأقصى تتمكن من رؤيته ومعرفة تــفاصيله ومشاهدة آيات عجائبه أكثر من الرؤية العينية ليلا)[4].

والغريب أن هذا الموقف الذي تبناه الشيخ مخالف لما سطره من قبل في كتابه السابق (نور اليقين) حيث ذكر قول جمهور أهل السنة من أن الإسراء كان بجسمه الشريف، وساق حديث أنس عند الشيخين الدال على ذلك[5].بل ورد على الذين ينكرون المعجزات،فقال بعد سياق معجزة شق الصدر: (وليس هذا بالعجيب على قدرة الله تعالى ، فمن استبعد ذلك كان قليل النظر لا يعرف من قوة الله شيئا، لأن خرق العادات للأنبياء ليس بالأمر المستحدث ولا المستغرب) [6].

---

[1]- دراسات في السيرة النبوية ص ١٩٩-٢٠٠.وإن كان قد وقع هو الآخر في مثل ما عابه حين أنكر معجــزة تسليم الحجر على النبي ﷺ ،كما سيأتي بيانه بعد هذا.

[2]- انظر المرجع السابق ٨٦-٨٧ و٩٧-٩٨.

[3]- كتاب الفضائل باب فضائل النبي وتسلين الحجر عليه قبل النبوة رقم ٢٢٧٧.

[4]- ١/٩٠-٩١.

[5]- ص ٧٠.ط دار المروج ١٤٠٨- ١٩٨٧.

[6]- ص ١٨،ط دار الفكر ، بدون تاريخ.

ولعل السبب في هذا الاختلاف أن الشيخ ألف كتابه (نور اليقين) في المنصورة ولم تكن علاقته قد توطدت مع الإصلاحيين، ولذا أورد عددا من المعجزات كشق الصدر والإسراء وانشقاق القمر.. بل وأورد جملة منها في آخر كتابه.أما كتابه (محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية) فقد ألفه عندما انتــقل إلى القاهرة وأصبح مدرسا للتاريخ الإسلامي ، وتوثــقت صلاته بالشيخ محمد عبده وغيره من رواد المدرسة الإصلاحية، ومن ثم لم يشر فيه إلى عدد من المعجزات النبوية كحادث الفيل وشق الصدر ومعجزات الهجرة١.

وأما زعم الكاتب بأن الإسراء كان بالروح لا بالجسد فهو مخالف لما عليه جمهور السلف والخلف من أن الإسراء كان ببدنه وروحه صلى الله عليه وسلم .قال القاضي عياض بعد أن ساق مقالات أهل العلم في ذلك : (والحق من هذا والصحيح إن شاء الله تعالى أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار، ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة ، وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة ، إذ لو كان مناما لقال (بروح عبده)ولم يقل (بعبده) وقوله تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) .ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة، ولما استبعده الكفار ولا كذبوه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتــنوا به، إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته)٢ .ثم إن ظاهر السياقات يدل على ذلك من ركوبه وصعوده في المعراج وغير ذلك، ولهذا قال عز وجل: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا)٣ .والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة فدل على أنه بالروح والجسد، والعبد عبارة عنهما ٤.

أما هيكل فساق هذه القصة من رواية المستشرق درمنغم كما قال ،والذي استخلصها من كتب السيرة ، وكان المفروض والذي يحتمه المنهج العلمي أن يرجع إلى كتب الحديث والسيرة التي تروي هذه الحادثة لا إلى كتب المتشرقين ،لكنه لا يطمئن إلى تلك الكتب إلا بقدر ما ينقل عنها هؤلاء،وهذا عجيب في ميدان البحث العلمي،وغريب.بل يطالعنا الدكتور هيكل برأي غريب وتساءل هل سبق إليه أم لا ،وخلاصته أن في الإسراء والمعراج تحققت وحدة الوجود في شخص محمد صلى الله عليه وسلم!،يقول: (فهذا الروح القوي قد اجتمعت فيه في ساعة الإسراء

١- انظر دراسات في السيرة النبوية محمد سرور بن نايف ص ٢٨١.

٢- الشفا ١٨٩/١.

٣- الإسراء ١.

٤- السيرة النبوية لابن كثير ١٠٤/٢.

والمعراج وحدة هذا الوجود بالغة غاية كمالها.. تداعت في هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة محمد واجتمع الكون كله في روحه فوعاه منذ أزله إلى أبده، والإسراء بالروح هو في معناه كالإسراء والمعراج بالروح جميعا سموا وجلالا وجمالا ، فهو تصوير قوي للوحدة الروحية من أزل الوجود إلى أبده)[1].

واضح أن هيكل تأول هذه المعجزة على أنها إسراء بالروح فحسب، ولو وقف عند هذا الحد لهان الأمر،لكن أن يتأولها بوحدة الوجود فهذا غاية الضلال ومنتهى الخبال.يقول الشيخ مصطفى صبري: (وإني جد متعجب من أن كاتبا كبيرا في طليعة الأدباء والعقلاء في مصر مثل الدكتور هيكل باشا يأبى عقله أن يؤمن بمعجزات أنبياء الله الكونية فينكرها،في حين أنه يقبل خرافة الوجود المستحيلة حتى يفسر بها معجزة الإسراء، ومعناه أنه لا يؤمن بالمعجزة حالة كونها ممكنة ، ويؤمن بها عند تصويرها في صورة المحال)[2].

قلت: وهذا غاية الجهل والضلال وطمس البصيرة ، ولو كان هيكل يحترم عقله ويلتزم المنهج العلمي كما يدعي، لما سمح لنفسه أن يذهب في تأويل هذه المعجزة الباهرة هذا المذهب البعيد، ويفتخر بذلك ويتساءل هل سبق إليه أم لا .بل حتى منطق العلم الذي يدعي هيكل أنه لا يقر المعجزات أصبح اليوم يؤكد هذه الحقيقة ، حقيقة الإسراء والمعراج بعد غزو الفضاء وتفتيت الذرة وتحويل المادة إلى طاقة وتحويل الطاقة إلى مادة[3].علما بأن مثل هذه المعجزات لا تتوقف صحتها على ما تتمخض عنه الاكتشافات العلمية الحديثة ، وإنما المقياس المعتبر في ذلك أن تصلنا عن طريق صحيح، أما هذه الاكتشافات فتأتي لتؤكد الحقائق الدينية لا لتثبتها من الأصل. وإذا كنا نسلم اليوم بارتياد الإنسان للفضاء مع ضعفه وجهله وقصوره، فكيف نستبعد على الله عز وجل العليم القدير أن يسري بنبيه محمد ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ويعرج به إلى السماوات العلى؟ إن التسليم بالأول واستبعاد الثاني دليل على جهل الإنسان بربه، وعدم إدراكه لطلاقة القدرة الإلهية(وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) [4].

---

[1]- حياة محمد ص ١٩٣-١٩٤.

[2]- موقف العقل ١٩٧/٤ بالهامش.

[3]- انظر مقال (المعراج وصداه في التراث الإنساني) مجلة عالم الفكر أحمد مختار عبادي مجلد ١٢ عدد٤ السنة ١٩٨٢ ص ٢٦٤.

[4]- الزمر ٦٤.

٢/معجزة انشقاق القمر:

وهي معجزة ثابتة بنص القرآن ، وبالأحاديث الصحيحة.أما القرآن فقوله تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر)١.وأما الأحاديث فقد صحت عند الشيخين من حديث عبد الله بن مسعود٢ وأنس بن مالك٣ وعبد الله بن عباس٤، ومن حديث عبد الله بن عمر عند مسلم والترمذي٥، وغيرهم.

وقد أنكر هذه المعجزة جمهور الفلاسفة قديما ومتمسكهم أن الآيات العلوية لا يتهيأ فيها الخرق والالتئام ،وهو جهل منهم بقدرة الله عز وجل في هذا الكون، ومطلق تصرفه في مخلوقاته، قال الزجاج في معاني القرآن : (أنكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق القمر ولا إنكار للعقل فيه لان القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء كما يكوره يوم البعث ويفنيه)٦.

وحديثا أنكر بعض رواد المدرسة العقلية الحديثة هذه المعجزة جريا على نهجهم في إنكار المعجزات، وفي مقدمتهم رشيد رضا الذي شكك في تواتر روايات هذه الحادثة، واعتبر القول به زعما باطلا،وأنه لو وقع لتوفرت الدواعي على نقله بالتواتر لشدة غرابته،ولنقله جميع من شاهده٧. ورد رواية الشيخين لها بدعوى أن حديث أنس وابن عباس من مراسيل الصحابة،وأن حديث ابن عمر ليس فيه أنه حدث عن رؤية،ثم لاختلاف هذه الروايات وتعذر الجمع بينها٨،فضلا عما فيها من خبر بوقوع تغير في النظام الكوني العام، وهو ما لا يصدق إلا بخبر

١- القمر ١.

٢- البخاري كتاب الأنبياء باب سؤال المشركين أن يريهم النبي آية فأراهم انشقاق القمر رقم ٣٦٣٦ ومسلم كتاب صفات المنافقين باب انشقاق القمر رقم٢٨٠٠.

٣- كتاب مناقب الأنصار باب انشقاق القمر رقم ٣٨٦٨،ومسلم كتاب صفات المنافقين باب انشقاق القمر رقم ٢٨٠٢(٤٦).

٤- البخاري في تفسير سورة القمر باب(وانشق القمر) رقم ٤٨٦٦ ومسلم كتاب صفات المنافقين باب انشقاق القمر رقم ٢٨٠٣.

٥- مسلم كتاب صفات المنافقين باب انشقاق القمر رقم٢٨٠١ والترمذي كتاب التفسير باب ومن سورة القمر رقم٣٢٩٩.

٦- الفتح ٢٢٤/٧.

٧- انظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الرومي ص ٥٨٤ نقلا عن مجلة المنار مجلد ٣٠، الجزء ٢٦٦/٤-٢٦٧ .

٨- انظر المرجع السابق ص ٥٨١-٥٨٣ نقلا عن مجلة المنار مجلد ٣٠، الجزء ٢٦٧/٤-٢٦٨ .

قطعي ثابت[1].كما أن الموقف القرآني من عدم إجابة الكفار إلى ما طالبوا به من الآيات يرد حديث أنس الذي فيه أن هذه المعجزة وقعت جوابا على سؤال المشركين[2].

هذه جملة الدعاوى التي استند إليها رشيد رضا لإنكار هذه المعجزة،وشاركه القول في عدم تواترها الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تـفسيره،وزعم أنه ما ادعى أحد من المسلمين تواترها إلا من شذ !وقال : (إن انشقاق القمر من الأحداث الكونية الهامة التي لو حصلت لرآها من الناس من لا يحصى كثرة من العرب وغيرهم، ولبلغ حدا لا يمكن أحدا أن ينكره)[3].

أما تواتر هذه المعجزة الباهرة فهذا مما قد قال به جماهير العلماء قديما وحديثا، قال القاضي عياض: { أما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه ، و أخبر عن و جوده ، و لا يعدل عن ظاهر إلا بدليل ، و جاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة ، و لا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عرى الدين ، و لا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين ، بل نرغم بهذا أنفه ، و ننبذ بالعراء سخفه .

}[4]وقال أيضا :(أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي ، وإعراض الكفرة عن آياته ،وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه)[5].وقال ابن كثير: (وقد اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان في عهد رسول الله وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة)[6].وقال عنه أيضا : (وهذا متواتر عنه عند أهل العلم بالأخبار وقد رواه غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم)[7].وممن نص على تواتره من المتأخرين الشوكاني[8] ومحمد بن جعفر الكتاني[9].فكيف يكون القول بتواتره زعما باطلا كما يدعي رشيد رضا؟ ألا إن ما زعمه هو الباطل حقا.وكيف يزعم الشيخ المراغي أنه ما ادعى أحد من المسلمين تواترها إلا من شذ. ألا إن قوله هذا هو الشذوذ بعينه!

---

[1]- انظر المرجع السابق ص ٥٨٥ نقلا عن مجلة المنار مجلد ٣٠، الجزء ٣٦٣/٥ .

[2]- انظر المرجع السابق ص ٥٨٥-٥٨٦ نقلا عن مجلة المنـار مجلـد ٣٠، الجـزء ٣٦٤/٥-٣٦٨ .وهـذا الاستدلال الأخير هو نفسه الذي اعتمده الشيخ دروزة كما سيأتي.

[3]- انظر تفسير المراغي ٧٧/٢٧.

[4] - الشفا ٢٥٥/١.

[5]- الشفا ٢٨١/١.

[6]- البداية والنهاية ٧٤/٦.

[7]- فصول من السيرة ص: ٢٠٦.

[8]- فتح القدير ١٢٠/٥.

[9]- نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ٢٢٢-٢٢٣.

وأما ما استندوا إليه لنفي تواتره بأنه لو وقع لرآه من الناس من لا يحصى كثرة من العرب وغيرهم، ولبلغ حدا لا يمكن أحدا أن ينكره ،ولنقله جميع من شاهده، فقد أحسن في الرد على ذلك ثلة من العلماء ،وأحكموا الاستدلال له، منهم أبو إسحاق الزجاج في كتابه (معاني القرآن) قال: (أما قول بعضهم لو وقع لجاء متواترا واشترك أهل الأرض في معرفته ولما اختص بها أهل مكة، فجوابه أن ذلك وقع ليلا وأكثر الناس نيام والأبواب مغلقة وقل من يراصد السماء إلا النادر وقد يقع بالمشاهدة في العادة أن ينكسف القمر وتبدو الكواكب العظام وغير ذلك في الليل ولا يشاهدها إلا الآحاد فكذلك الانشقاق كان آية وقعت في الليل لقوم سألوا واقترحوا فلم يتأهب غيرهم لها ويحتمل أن يكون القمر ليلتئذ كان في بعض المنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يظهر الكسوف لقوم دون قوم)[1].وبنحو ه قال القاضي عياض ،وزاد : (وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم وطوالع عظام تظهر في الأحيان بالليل في السماء و لاعلم عند أحد بها)[2].

وأما رد رواياته بدعوى أنها من مراسيل الصحابة، وأن رواتها لم تحصل لهم رؤية هذا الانشقاق باستثناء عبد الله بن مسعود،فليس على إطلاقه،لأن من رواته جبير بن مطعم[3] وحذيفة بن اليمان[4]،وقد حصلت لهم المشاهدة كما حصلت لعبد الله بن مسعود[5] .

وأما الدعوى بأن هذا مما لا يصدق إلا بخبر قطعي ثابت إذ فيه خبرا بوقوع تغير في النظام الكوني العام، فأي خبر أقطع من القرآن وقد أخبر بوقوعه؟وتواترت على ذلك الأحاديث عند الشيخين وغيرهما.وأجمع عليه علماء الأمة سلفا وخلفا.ألا يكفي هذا كله لإفادة القطع واليقين؟!

وممن أنكر أيضا هذه المعجزة الباهرة الشيخ دروزة، ومستنده في ذلك الموقف السلبي للقرآن إزاء تحدي الكفار،أي عدم إجابة القرآن مطالبة الكفار بالآيات .ورد ما رواه كثير من المفسرين من أن هذه المعجزة وقعت جوابا على تحدي الكفار كمارد ما ذهب إليه جمهورهم من كون الآيات الأولى من سورة القمر تشير إلى هذه المعجزة،ورأى هذا القول موضع نظر لأمرين: لكون السورة من المبكرات الأولى للنزول، وثانيا لم يحك في السور النازلة قبلها عن الكفار تحد

---

[1]- فتح الباري ٧/٢٢٤ .

[2]- الشفا ١ /٢٨٣.وانظر أيضا رد الخطابي في الفتح ٧/٢٢٤-٢٢٥.

[3]- أخرج حديثه أحمد ٤/٨١-٨٢ والترمذي ٣٣٠٠ في التفسير باب ومن سورة القمر،والبيهقي في الدلائل ٢/٢٦٨ .

[4]- أخرج حديثه ابن أبي شيبة في المصنف ١/٤٥٠ و الطبري في جامع البيان ٢٧/٨٦.

[5]- انظر فتح الباري ٧/٢٢١.

وطلب بإتيان معجزة.ورجح ما ذهب إليه بعض المفسرين من حمل قوله تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر)[1]على معنى أنه مقترب،أي أنه من أشراط الساعة،واعتبر هذا المذهب وجيها وينسجم مع الموقف السلبي للقرآن الكريم[2].

أما دعوى أن الانشقاق ما كان جوابا على سؤال المشركين فباطلة، والمعتمد ما في الصحيح، أخرج البخاري من حديث أنس بن مالك (أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما)[3].والحديث صريح في أن انشقاق القمر كان جوابا على تحدي الكفار.قال ابن حجر : (ولم أر في شيء من طرقه أن ذلك كان عقب سؤال المشركين إلا في حديث أنس فلعله سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم)[4].

وأما ما رجحه دروزة من حمل بعض المفسرين الآية على أنه من أشراط الساعة،فمرجوح، والراجح ما ذهب إليه الجمهور من وقوع الإنشقاق حقيقة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم،بدليل ما بعده من قوله تعالى : (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر)[5]،فإنه ظاهر في أن المراد بقوله تعالى: (انشق القمر) وقوع انشقاقه،لأن الكفار لا يقولون ذلك يوم القيامة،وإنما قالوه في الدنيا بعد وقوعه إعراضا عن الآية وزعما منهم بأنها سحر[6].

يقول الشوكاني : (والحاصل أنا إذا نظرنا إلى كتاب الله فقد أخبرنا بأنه انشق ولم يخبرنا بأنه سينشق وإن نظرنا إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد ثبت في الصحيح وغيره من طرق متواترة أنه قد كان ذلك في أيام النبوة وإن نظرنا إلى أقوال أهل العلم فقد اتفقوا على هذا ولا يلتفت إلى شذوذ من شذ واستبعاد من استبعد)[7]. ويقول الشيخ مصطفى صبري: (لو لم ينشق القمر في عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يشاهده أعداؤه المشركون في مكة لكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في هذه الآية وصار تكذيبهم المؤدي إلى تبين كذبهم حادثة هامة أدعى إلى تناقل الأسنة والأقوام لها من تناقل حادثة الانشقاق نفسه التي ربما لا يطلع عليها

---

[1]- القمر ١.

[2]- انظر ٢٢٦/١ وما بعدها.

[3]- كتاب مناقب الأنصار باب انشقاق القمر رقم ٣٨٦٨.

[4]- فتح الباري ٢٢١/٧.

[5]- القمر ٢.

[6]- انظر الفتح ٢٢٥/٧.

[7]- فتح القدير ١٢٠/٥.

غير أهل مكة لإهمال ترصدها في وقتها أو لغيم يسترها أو لحسبانها حادثة من الحوادث العجيبة التي تدرك أسبابها ولا تضبط في ذلك الحين)١.

٣/معجزات الهجرة :

كإخبار الله عز وجل رسوله بمؤامرة قتله ،وخروجه على الملأ الذين تربصوا به ، وقصة سراقة .. لكن عبد الرحمان الشرقاوي في كتابه (محمد رسول الحرية) تغافل عن ذكر هذه المعجزات، كما تغافل عن غيرها، وذلك لأنه يكتب عن محمد الإنسان وليس عن محمد النبي!٢وتساءل قائلا: (أين محمد إذن؟ كيف خرج وإلى أين مضى ، أيكون قد تسلل من كوة في ظهر بيته؟ أيكون قد عبر من سطح إلى سطح حتى بيت أبي بكر ؟ وكيف عرف ما أعدوا له؟ أيكون أحد الذين اتفقوا بالمسجد قد رق لمحمد فأبلغه؟)٣.ولحاجة في نفسه يطرح الكاتب السؤال بهذا الشكل،ذلك أنه أقصي عنصر الوحي من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وجعله يتصرف من عنده كما يتصرف سائر البشر، وليس نبيا أوحى إليه.وما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو بشر لا يعلم الغيب أن يعلم بما يدبره المشركون لولا أن أعلمه الله إياه، كما هو صريح القرآن الكريم: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)٤.

وعن قصة سراقة في مطاردته للنبي صلى الله عليه وسلم ، يقول : (وفرح قائد الفرسان واندفع بحصانه إلى محمد صلى الله عليه وسلم عبر صخور جرداء وعرة منحدرا إلى الأخدود ولكن الحصان تعثر به، وأوشك أن يطرحه على الصخور فيدق عنقه، وتشاءم قائد الفرسان فعاد من فوره دون أن يخبر أحدا ممن كانوا معه بما رأى!)٥.

فانظر كيف لوى عنق هذه المعجزة ،وكيف جعل الأمر مجرد حصان تعثر،ولا شيء بعد ذلك!وقريب من هذا ما ذهب إليه هيكل في شأن هذه المعجزة إذ اعتبر الأمر مجرد إجهاد لحق الفرس،وخطأ ارتكبه الفارس ،يقول: (وكان جواد سراقة قد كبا به قبل ذلك مرتين لشدة ما جهده، فلما رأى الفارس أنه وشك النجاح وأنه مدرك الرجلين فرادهما إلى مكة أو قاتلهما إن حاولا عن

١- موقف العقل ١٧١/٤.

٢- انظر مقدمة الكتاب ص ٥-٦

٣- ص ١٤٢.

٤- الأنفال ٣٠.

٥- ص ١٤٥.

نفسيهما دفاعا نسي كبوتي جواده ولزه ليمسك به ساعة الظفر ، لكن الجواد في قوته كبا كبوة عنيفة ألقى بها الفارس من فوق ظهره يتدحرج في سلاحه)[1].

فانظر رعاك الله شأن معجزات النبوة عند هؤلاء الكاتبين الذين لمعت أسماؤهم في سماء مصر وبلاد العرب،وكيف يتكلفون الكلام وينمقونه ويتمحلون في محاولة يائسة للتلبيس على القارئ وإيهامه أن الأمر في هذه القصة وأضرابها لا يعدو ما جرت به العادة في حياة الناس ،ويألفه العقل، وأن لا مكان لشيء اسمه المعجزة حتى ولو نطق بذلك القرآن الكريم وصحت به الأحاديث !.ألم يقل سراقة ، بعد أن حكى محاولته اليائسة اللحاق بالنبي صلى الله عليه وسلم : (..ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2].لقد أيقن سراقة بعدما لقي ما لقي أن في الأمر سرا،وأنه فوق طاقة البشر،وأن هذا الذي يطارده ليس بشرا عاديا، بل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه ممنوع منه ، فلم يتمالك أن نادى بالأمان.أفيكون الشرقاوي وهيكل وأضرابهما أدرى بأمر سراقة من سراقة نفسه؟!.

تلكم كانت نماذج من موقف بعض المعاصرين من المعجزات النبوية ،وهي مواقف تعبر عن ضعف الإيمان وجهل بالدين وبالنبوات،كما تعبر عن انهزام مؤسف وانصياع ذليل للعقلية الغربية. وإن إنكار المعجزات بدعوى خروجها عن المألوف، أو كونها لا تتفق والمعقول، أمر غير منطقي، لأن المعجزة أصلا ما سميت كذلك إلا لخروجها عن المألوف، وعدم خضوعها لمقاييس العقل. يقول الدكتور محمد محمد حسين: (من الواضح أن الذي ينكر المعجزة لغرابتها عن المألوف خليق أن ينكر الوحي نفسه لأنه أمعن في الغرابة وفي الشذوذ عن المألوف، والذي يعتقد حقا أن النبي صلى الله عليه وسلم ينزل جبريل عليه السلام مرسلا من عند الله سبحانه وتعالى كيف يكبر عليه أن يسلم بما يجري الله على يديه من غرائب وما يحفه من أسباب الرعاية التي تخالف مألوف العادة ؟)[3].

---

[1]- حياة محمد ص ٢١٤-٢١٥.

[2]- صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة رقم ٣٩٠٦.

[3]- اتجاهات هدامة في الفكر العربي المعاصر ص ٢٤.

خاتمة :

نخلص من هذه الدراسة إلى الملاحظات الآتية:

١- إن الكتابة العربية المعاصرة في السيرة النبوية قد توزعتها اتجاهات شتى،وحاول كل اتجاه توظيف السيرة النبوية لخدمة أغراضه وأهدافه،وهذه الكتابة بحاجة إلى مزيد اهتمام من قبل الباحثين والدارسين تحليلا ونقدا، لبيان مالها وما عليها خدمة للسيرة النبوية ،وبيانا للحق.

٢-اقتصرت هذه الدراسة على ثلاث قضايا رئيسة في هذه الكتابات ، وتمثل قاسما مشتركا بينها وهي: التشكيك في كتب الحديث والسيرة وإنكار الأحاديث ا لصحيحة وإنكار المعجزات والتعسف في تأويلها .وحاولت تتبعها عند أصحابها بإيراد أقوالهم ، والرد عليها من غير تطويل.

٣-إن الجهل بحقائق الدين والنبوات ، والانصياع الذليل للغرب ولمناهج المستشرقين واتباع خطواتهم، هي أبرز العوامل وراء هذا التشكيك وهذا الإنكار.وليس غريبا بعد هذا أن تجد ثلة من المعاصرين الكاتبين في السيرة النبوية يلتقون في مثل هذه القضايا على اختلاف توجهاتهم ، سواء أكانت مادية أم علمانية أم عقلانية أم غيرها.وقد ضرب أصحاب المدرسة الإصلاحية أوالمدرسة العقلية الحديثة بسهم وافر في هذا الباب، وسنوا سنة سيئة تبعهم فيها من بعدهم. والله تعالى المستعان.

المصادر والمراجع:

اتجاهات هدامة في الفكر العربي المعاصر د.محمد محمد حسين دار الإرشاد بيروت ط الثانية ١٩٨٠.

أصول الحديث ، علومه ومصطلحه عجاج الخطيب دار الفكر ط الثالثة ١٣٩٥-١٩٧٥.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين الشنقيطي عالم الكتب بيروت بدون تاريخ.

الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ،جمع وتحقيق محمد عمارة المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٣.

تاريخ العرب في الإسلام (السيرة النبوية) د.جواد علي مطبعة الزعيم بغداد ١٩٦١.

تأويل مختلف الحديث لابن قتـــيبة دار التوصية العربية للطباعة والنشر ١٩٦٦.

تفسير المراغي أحمد مصطفى المراغي ط الأولى ١٣٦٥-١٩٤٦ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر.

تقريب التهذيب الحافظ ابن حجر تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف دار المعرفة بيروت ط الثانية ١٩٧٥.

تهذيب التهذيب الحافظ ابن حجر دار صادر بيروت.

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع الخطيب البغدادي تحقيق د.محمود الطحان مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٣.

حياة محمد د.محمد حسين هيكل مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط الثالثة عشر ١٩٦٨.

دراسات في السيرة النبوية د.حسين مؤنس الزهراء للإعلام العربي ط الثانية القاهرة ١٩٨٥.

دراسات في السيرة النبوية محمد سرور بن نايف زين العابدين دار الأرقم برمنجهام ط الثالثة ١٩٨٨.

الرسالة الإمام محمد بن إدريس الشافعي تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر.

الرسالة المحمدية لسليمان الندوي مكتبة دارالفتح دمشق ١٩٧٣.

السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة أعمال ندوة صدرت عن المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، و المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،عمان-الأردن ١٤٠٩-١٩٨٩.

سيرة الرسول صور مقتبسة من القرآن الكريم محمد عزة دروزة ،الطبعة الأولى مطبعة الاستقامة القاهرة ١٩٤٨.

السيرة النبوية عبد الملك ابن هشام تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر بيروت بدون تاريخ.

السيرة النبوية الحافظ ابن كثير تحقيق مصطفى عبد الواحد دار المعرفة بيروت ١٩٧٦.
السيرة النبوية الصحيحة د. أكرم ضياء العمري مركز بحوث السنة والسيرة جامعة قطر ١٤١١-١٩٩١.
السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي المؤسسة العربية الحديثة مصر بدون تاريخ.
سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم نظرة جديدة هاشم معروف الحسيني دار القلم بيروت ط الأولى ١٩٧٥.
الشفا بتعريف حقوق المصطفى القاضي عياض دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.
الطبقات الكبرى لابن سعد دار صادر بيروت ١٩٥٧.
طه حسين في ميزان العلماء والأدباء، محمود مهدي الإستانبولي المكتب الإسلامي ط الأولى ١٩٨٣.
عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم محمود عباس العقاد دار نهضة مصر القاهرة بدون تاريخ.
على هامش السيرة د.طه حسين ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاتدن طه حسين دار الكتاب اللبناني بيروت ط الأولى ١٩٧٣.
عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ابن سيد الناس دار المعرفة بيروت بدون تاريخ.
فتح الباري الحافظ ابن حجر طبعة دار الريان للتراث القاهرة ط الثانية ١٤٠٧-١٩٨٧.
فقه السيرة د. محمد سعيد رمضان البوطي دار الفكر ط الثامنة ١٩٨٠.
الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقويم ، غازي التوبة دار القلم بيروت ط الثالثة ١٩٧٥.
كبرى اليقينيات الكونية د. محمد سعيد رمضان البوطي طبعة مصورة ،دار الفكر سوريا ١٤٠٥-١٩٨٥.
المجتمع المدني في عهد النبوة، خصائصه وتنظيماته الأولى ،د. أكرم ضياء العمري المجلس العلمي بالمدينة المنورة ط الأولى ١٩٨٣.
مصادر السيرة النبوية وتقويمها د. فاروق حمادة دار الثقافة الدار البيضاء ط الأولى ١٤٠٠-١٩٨٠.
المصحف المفسر محمد فريد وجدي مطبعة محمد علي صبيح مصر ١٣٧٢-١٩٥٣.
منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير د. فهد بن عبد الرحمان الرومي ط الرابعة ١٤١٤هـ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين الشيخ مصطفى صبري دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٠.

*المجلات:

- مجلة عالم الفكر المجلد ١٢، العدد ٤، السنة ١٩٨٢.
- مجلة الأزهر العدد ٦٢، سنة ١٤١٠-١٩٨٩.